محمد جاد الزغبي

السيدة عائشة .. رضي الله عنها

نورانية العفاف .. وقرآنية الإنصاف

محمد جاد الزغبي

السيدة عائشة .. رضي الله عنها

السيدة عائشة .. رضي الله عنها
نورانية العفاف .. وقرآنية الإنصاف

محمد جاد الزغبي

السيدة عائشة .. رضي الله عنها

نورانية العفاف .. وقرآنية الإنصاف

محمد جاد الزغبي

السيدة عائشة .. رضي الله عنها

* محمد جاد الزغبي

* السيدة عائشة .. رضي الله عنها
نورانية العفاف .. وقرآنية الإنصاف

* حقوق الطبع محفوظة

* الطبعة الأولى 2011

* الناشر وكالة العز للدعاية والإعلان
المهندس / أحمد عبد الباقي عاشور

* الإشراف الفني وكالة العز للدعاية والإعلان

* رقم الإيداع 3357 / 2011

- للمراسلة

al_3ez_magazine@hotmai.com

alzoghbe@hotmail.com

أم المؤمنين .. رضي الله عنها "[1]"

جـــاءتْ براءتهـــا بـــوحي سمـــاءِ ... مـــن ذا يُعادلهـــا مـــن العظمـــاءِ ؟!
الله يـــشهد أنهـــا أم الرضـــا ... والمـــؤمنين .. وزيْنـــة الخلـــصاءِ
زوج الـــنبي وبنـــت أول مـــؤمنٍ ... وفقيهـــة الإســـلام .. والخلفـــاءِ
هـــى خـــير آيـــات النـــساء طهـــارةً ... وهـــى الفـــضيلةُ .. منبـــع الفـــضلاءِ
هى من تـــصاعد نجمهـــا نحـــو العـــلا ... وبدينـــها .. تـــسمو علـــى الأنـــواءِ
لمـــا أتـــى بالإفـــك .. قـــول منـــافقٍ ... وانـــساب كـــالأفعى علـــى ملـــساءِ
جاء الأمـــينُ مـــن الـــسماء .. مـــترلا ... بـــالحق .. يفـــضح شـــبهة الـــدخلاءِ
جـــاءت براءتهـــا بآيـــات الهـــدى .. ... نـــورا يكلـــل وجههـــا .. بـــضياءِ
لا تحـــسبوا بالإفـــك شـــرا .. إنـــه ... خـــيرٌ لكـــم .. والـــشر للأعـــداءِ
فإذا انـــبري بالإفـــك بعـــد بيانـــه .. ... أحـــدٌ .. فتلـــك طبيعـــة الخبثـــاءِ
فـــدَعُوا الحـــسود لنـــارهِ وضـــرامهِ .. ... ولنـــستظل بـــسيرة العـــصماءِ

.

[1] ـــــ مجموعة قصائد محمد جاد الزغبي ـــ شبكة العز الثقافية ـــ بشبكة الإنترنت

مقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله اللهم صلي وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذا الكتاب يتشرف بأن يمتدح نفسه بسيرة الطاهرة المطهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عبر التعرض لقضية الإعتداءات التي تطال الـمُـثل العليا في الإسلام .

وليس هذا الكتاب تأريخ لهذه الشخصية العظيمة بقدر ما هو محاولة متواضعة لبسط القضية الكبري أمام القراء ، وأعنى بها قضية العداء للإسلام والتى حمل رايتها – ولا يزال – أهل الضلال والزيغ في خارج العالم الإسلامى وداخله .

وهذا الموضوع أو هذه الحرب المستعرة منذ أربعة عشر قرنا ، يطول فيها الحديث ويتشعب ويمتلئ بعشرات التفاصيل التي تعتبر خافية على عامة المسلمين ، غير أنى أحاول جهدى في محاولة إلقاء الضوء على تلك العداوات بصفة عامة ، ثم يكون التخصيص لقضية اعتداء الفرق الزائغة والنحل الباطلة على أشرف رموز البشرية بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام .

حيث اختصت فرق الروافض من قديم بالاعتداء المتكرر على حشمة أمهات المؤمنين والصحابة وآل البيت رضوان الله تعالى عليهم ضمن منهج معروف مستمر منذ أن انبثقت هذه الفتنة في تاريخ الإسلام .

ولما كان المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها غائبةٌ عنهم التفاصيل وطبيعة تلك الفرق ، لا سيما في البلاد التي حماها الله من تلك الفتنة ، فكان من اللازم والضرورى أن نتعرض أولا وباختصار لنشأة الرفض وانتحال التشيع لآل البيت حتى يكون القارئ على بينة من

أمره عندما يصادف الإعتداءات واللمز والغمز بحق هؤلاء الأطهار وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما .

ومعرفة العلة هى الطريق الذهبي للعلاج ..

فإذا عرفنا طبيعة العدو كان إدراك سبيل المواجهة معه سهلا ميسورا ، لا سيما بعد أن اندس تحت عباءة الإسلام من ليس منه بغرض النيل من داخله أمام أجيال جديدة لم تتعرض بعد لتاريخها أو تعلم عنه شيئا .

والأمر لا يمكن فهمه على أنه مجرد اعتداء قام به بعض الموتورين ضد أم المؤمنين ؛ بل هى منهجية لها تاريخ طويل هدفها النيل من الإسلام كعقيدة ورسالة ، فتفرع عن هذا العداء عداء مطلق للصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت نقلة هذا الدين .

وهو الهجوم الذى تفرع عنه محاولة إسقاط أمهات المؤمنين رضي الله عنهم ..

فالحديث عن الهجمات التي يتعرض لها هذا الجيل جزء يجب تناوله في حديثنا عن الهجمات التي تتعرض لها أم المؤمنين رضي الله عنها لأن هذه الهجمة فرع من فروع لها أصل بعيد في جذور التاريخ .

من هنا كان لزاما أن نتعرض أيضا لمختلقات الإخباريين والروايات الشيعية والرافضية التي نالت من هذا الجيل كله ومعرفة الأساس الذى انبثقت منه هذه الروايات التي يكافح العلماء لردها رغم وجود الرد الأصيل عليها في كتب الأقدمين !

وتأتى خطورة هذه الهجمات على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، من منطلق أن القائمين على كبرها يقدمون أنفسهم على أنهم من علماء المسلمين وخاصتهم وأنهم من أشياع آل البيت الأطهار – برأهم الله تعالى – من هنا جاء التركيز على شرح البدايات والأصول لهذا المنهج المندس الذى يعمل وفق برنامج لا يكل ولا يمل لتشويه صورة الرموز التي حملت الدعوة الإسلامية إلى أقطار الأرض وإلى أجيالها عبر العصور .

لأنه إذا أدرك القارئ حقيقة الغرض الذى يقف خلف هذه الهجمات ، فسيكون هذا طريقا كاشفا له عن حقيقة هذه الأقوال وكيف أنها محض افتراء وحقد شعوبي دخيل على الإسلام والمسلمين ، وعداء ممنهج تجاه الإسلام والسنة على وجه التحديد .

فنظرة واحدة إلى طبيعة المهاجمين ومناهجهم تكشف لنا بجلاء أنهم يستهدفون الإسلام السنى ويستهدفون أى نداء للعودة إلى الأصول الأولى التي أقام المسلمون بها هذه الحضارة الباذخة .

أما المبتدعة ..

ففضلا على مساهمتهم في هدم النداء الأصولى فإنهم يحظون بالرعاية والتأييد من الدوائر التي تستهدف التوجه السلفي الذى يعتبر الشغل الشاغل لأعداء الإسلام في الشرق والغرب .

وبعد شرح البدايات التاريخية والنهايات المعاصرة والأسباب خلف هذه الهجمات الحاقدة الموتورة ، يأتى دور التعريف بفضل أم المؤمنين رضي الله عنها ، وهى العَلَم الذى لا يحتاج تعريفا .

غير أن القلم سيحاول استخراج كنوز الفضائل التي خفيت عنا وغابت عن واقعنا عن طريق التأمل في الحياة الحافلة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتى شرفت بأنها نورانية العفاف جاء نور عفافها يعطى القيمة والمثل للفضيلة نفسها ، فالفضائل تستحى أمام حقيقة صفاتها رضي الله عنها وأرضاها ،

وهى قرآنية الإنصاف :

حيث شرفها الله تعالى بأن جعل إنصافها متنزلا بالوحى المبين على سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام ، عندما نزلت آيات البراءة في سورة النور تفضح الإفك القديم وأهله ، وتعطى العبرة للإفك الجديد وأذنابه .

واقتضت حكمة العليم الخبير أن تكون البراءة في آيات القرآن الكريم ، لأنه يعلم بعلمه المحيط أن أقواما ستأتى في آخر الزمان تعيد حديث الإفك وتشكك في أدلة البراءة ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل البراءة في الوحى المترل مقرونا بمحو صفة الإيمان عمن كذبه !

ويكفي أمنا أم المؤمنين شرفا بهذه الآيات وهى الطاهرة المطهرة ورفيقة النبي عليه الصلاة والسلام وزوجته في الدنيا والآخرة .

يقول تعالى :

[إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ] {النور:11}

وهكذا ..

يقرر القرآن الكريم أن أحاديث الإفك ما كانت شرا ، وما كانت ذات ضير على المؤمنين ويكفي من آثارها هذا التشريف لأم المؤمنين في آيات القرآن الكريم وهذا التبصير من الله عز وجل لقيمة ومقام سيدات بيت النبوة ، وحديث الإفك القديم والمعاصر إنما هو بشري للمؤمنين من وجهين ..

الأول : أنه يحفز أهل الغيرة والإيمان كي تصدع سيوف أقلامهم لمواجهة هذه الهجمات ، ويحفز سائر المسلمين على التماس الكتب ومصادر العلم بحثا عن هذه الشخصيات التي رأوا من عداوة المغرضين لها الكثير ، فكان هذا الفعل تحريضا لهم على همة البحث وغيرة الدفاع ؛

لا سيما بعد أن غفل كثير من المسلمين من أصحاب موهبة القلم عن زكاة القلم ، وزكاة القلم والعلم أداؤه للناس واستخدامه في رفعة قضايا الإسلام والمسلمين لنيل الدرجات العلا في الآخرة .

كما حفز المؤسسات والجامعات وسائر أهل الإسلام لاتخاذ السبل لتبصير المسلمين بتاريخهم العظيم وكل هذا يصب في خدمة المعادلة الكبري لرفعة المسلمين والتي مؤداها ..

(أنه لن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)

الثاني : أن الله عز وجل أراد لهؤلاء الأطهار أن يمتد عملهم بعد وفاتهم ، فمع كل قذف ينالهم من أهل الإفك يرفعهم الله تعالى شرفا فوق شرف ، ويتعس الذين ارتكبوه في الدنيا والآخرة .

نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن ويجعله خالصا لوجهه ..

وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحابته صلاة دائمة إلى يوم الدين ..

محمد جاد الزغبي

فصل تمهيدى ..

أساسيات الصراع والحرب على الإسلام

سنكتبُ كى نذود عن المعالى"[2]

سنكتبُ كـــى نـــذود عـــن المعـــالى ونعلـــن أننـــا .. لا لـــن نبـــالى
سنكتب كى يكـــون العـــذر منجـــى إذا مـــا جـــاء ميقـــات الـــسؤالِ
وحاســـبنا الملائـــك عـــن علـــومٍ وأقـــلامٍ .. بأيـــدينا غـــوالى
ســـيوفٌ لا تمـــس اليـــأس يومـــا وقـــد حملـــت أمانـــات الرجـــالِ
فكيف أغيـــب عـــن مـــضمار حـــربٍ ولى قلـــمٌ تمـــرّس فى الجـــدالِ
أخـــشية فاقـــةٍ أو بعـــض غـــدرٍ ترى : أم خشية مـــن ســـوء حـــالِ
لـــئن يومـــا عرفنـــا الخـــوف نهجـــا لأصـــبح كـــل ســـهلٍ .. كالمحـــالِ
فـــلا يلـــج الـــصعابَ رقيـــق قلـــبٍ ولا ترمى اللـــهيب .. يـــدٌ تبـــالى

“

[2] ـــــ مجموعة قصائد محمد جاد الزغبي ـــ شبكة العز الثقافية ـــ بشبكة الإنترنت

فصل تمهيدى ..
أساسيات الصراع والحرب على الإسلام

الإسلام ..

هذا الدين الذى ختم به الله عز وجل الرسالات ، جاء بالهدى والنور على يد النبي عليه الصلاة والسلام حاملا مشاعل الإيمان والنجاة للبشر بأعظم ما تنزل على نبي من الأنبياء عليهم السلام ، وقد جرت سنة الله في الناس على سنة الدفع .

وعند المواجهة يتمحص الإيمان عن الكفر ، ويظهر الهدى من الضلال ، ويدركه كل عاقل شريطة ألا يشوب عقله الهوى .. فالحق واحد .. والطرق إليه متعددة .. بالعلم والتفكير والجهاد و ..... الخ والباطل متعدد .. لكن الطريق إليه واحد وهو اتباع الهوى ..

فالهوى قيدٌ على قدرة الإنصاف ، وحسن الإدراك .

يقول تعالى :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] {النساء:135}

والإسلام كان – ولا يزال – هدفا لمختلف العداوات ، وليس في ذلك غرابة أو دهشة ، إنما الدهشة الحقيقية يجب أن تكون من المسلمين لا من الإسلام ، فلا زال بعض المسلمين إلى يوم الناس هذا يتساءلون ، هل هناك عداء وترصد للإسلام ؟!

وهذا سؤال بالغ الغرابة بعد أربعة عشر قرنا من الصراع المستميت بين الإسلام وبين ألوان العداوات عبر العصور ، فضلا على غرابته إذا تأملنا آيات القرآن الكريم التي حذرتنا هذا العداء المستميت والمستمر إلى أبد الدهر .

[وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {البقرة:109}

سواء كان العداء التقليدى الذى ورثه الإسلام عما سبقه من رسالات ، ونعنى به عداء شياطين الإنس والجن ، أو العداوات المتجددة التي انفرد بها الإسلام من خصوم الهداية وهذا الإطار ؛ إطار الصراع بين الحق والباطل هو الإطار الذى يجب أن يحكم نظرتنا إلى ما نعانيه اليوم من هجمة شرسة على الـــمُثل العليا ، من اعتداءات المغرضين على النبي عليه الصلاة والسلام وزوجاته وصحابته ، فضلا على علماء الأمة ومجددى دينها عبر العصور ..

وبغير هذا الإطار لن نتمكن من الرد ومن الحماية ، لأن الفهم السليم للمرض هو الطريق الذهبي للعلاج ، والهجمات الشنيعة التي تتعرض لها الدعوة الإسلامية اليوم ، ليست بكرا في غرضها ولا طريقتها ، بل هى حلقة في سلسلة طويلة ممتدة ارتبط بها المغرضون في كل جيل ، وهى طريقة واحدة وإن تعددت أسنة رماح الهجوم فيها ، وكان الغرض واحدا وهو الطعن ومحاولة إنهاء هذا الدين ، ولكن الله قيض لهذه الأمة من يحفظ لها دينها عبر العصور عبر أهل التجديد وأهل التوحيد .

التجديد الحقيقي بمفهومه الأصلي وهو إعادة صفاء العقيدة على ما كانت عليه في العهد الأول ، وليس التجديد المعلب الذى يدعو إليه العلمانيون والعصرانيون وورثة المعتزلة وهو يحمل بين طياته معانى الهدم لا التجديد ؛ فالتجديد في الإسلام ليس معناه إعادة البناء بل إزالة الرتوش التي علقت بالبناء الأول ، وفى هذا جاء حديث النبي عليه الصلاة والسلام .. كما جاء في حديث أبي داوود – وهو حديث صحيح –

(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)

وقد تعددت العداوات بتعدد العصور ، وكان الإسلام يكتسب عدوا جديدا كلما تقدمت الدعوة خطوة إلى العالم ..

فبداية وقف كفار قريش بالمرصاد للدعوة وحاربوها بشتى السبل وعندما نجحت الدعوة فى الإنتقال الجوهرى للمدينة المنورة ظهر فى المدينة عداء اليهود والمنافقين ثم خطا الإسلام خطوته الأخيرة لاكتمال التشريع بفتح مكة ودانت جزيرة العرب عقب طرد اليهود من المدينة وإخراج المشركين من جزيرة العرب .

وعندما انتقل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ظهر العدو الثالث وهم بقية قبائل الشرك التى أرادت إستغلال وفاة الرسول عليه السلام لهدم الدولة الناشئة ثم توسعت الدولة الإسلامية فأسقطت الإمبراطورية الفارسية والرومية معا فظهر منهما العدو الخامس والسادس من أبناء تلك الإمبراطوريات التى رأت دولتها تنهدم على يد القبائل الوافدة بدين جديد ، ثم ظهرت الفتن وأصحاب الأهواء والطامعين ليظهر العدو السابع والثامن .. وهلم جرا .

وكانت مواجهة الإسلام لتلك العداوات على وجهين ، وجه القوة المسلحة والذى نجح فى إسقاط سائر الدول المناهضة ورد سائر الغزوات التى استهدفت الإسلام حتى اكتملت الخلافة الإسلامية على رقعة هائلة من الأرض أيام الدولة الأموية الباذخة فحكم الوليد بن عبد الملك دولة تمتد من الصين شرقا حتى الأندلس غربا ، وكان موسي بن نصير على وشك أن يواصل إتمام ما فتحه طارق بن زياد فيفتح سائر بلاد أوربا حتى بلاد الترك ثم يعود لمقر عاصمة الخلافة الأموية دمشق من الناحية الأخرى ليصبح البحر المتوسط بحرا عربيا خالصا ، لولا عدة أسباب سياسية جعلت الوليد بن عبد الملك ثم خليفته سليمان يعدلان عن ذلك "[3]"

وعندما اتضح لمختلف أصحاب العداوات عدم جدوى محاربة الإسلام بالقوة المسلحة – حتى بعد الضعف الذى اعتري الخلافة العباسية فى العصر العباسي الثانى – لجئوا إلى ابتكار هدم الدين ذاته من داخله لأن العقيدة السليمة هى التى وقفت خلف هذه الإنجازات التى ما تحققت لدولة على مدار التاريخ الإنسانى قط إلا للدولة الإسلامية .

وذلك عن طريق دعم التوجهات المنحرفة من بعض المنتسبين للإسلام أو ابتكار الشبهات المنتظمة كما فعل المستشرقون .. بعد أن تلاقت أغراض الفرق المختلفة مع الغرض الغربي في عداء الإسلام ومنهج السنة تحديدا ، وهذه النقطة هى نقطة الفصل في الأمر كله ..

حيث أن الحرب على الإسلام في الداخل والخارج اقتصرت على الإسلام الصحيح المبنى على منهج أهل السنة والجماعة والذي يرجع في أصوله إلى السلف الأول ، بينما لم تعان

[3] ـــ البداية والنهاية ـــ الإمام بن كثير ـــ الجزء التاسع ـــ ص 180 وما بعدها ـــ

بقية الفرق المنحرفة من تلك العداوات ، بل على العكس تلقت مختلف صنوف الدعم لتعمل كرأس حربة ضد أى دعوة سلفية حقيقية ..

وهذا يدل على براعة تشخيص أعداء الإسلام للإسلام ، فقد أيقنوا بالتجربة أن العقيدة الصحيحة هى التي وقفت خلف كل هذا الإنجاز الحضاري ، فعملوا على تفتيتها عن طريق الدس والتخريب الفكرى بإقحام الفلسفة وإقحام العقائد الوثنية في الإسلام ،

وقد ساعدهم على ذلك خروج المنتسبين للإسلام من بين المسلمين أنفسهم ، وهكذا عجز أعداء الإسلام عن النيل منه مباشرة فقاموا بذلك عن طريق ضعاف النفوس بيننا ، فجاء التخريب من الداخل .

وقد بدأت حرب هدم الدين من داخله مبكرا جدا و لم يكن مضي على وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام إلا أقل من أربعين عاما عندما تدخل اليهود برجلهم عبد الله بن سبأ لابتكار فتنة التشيع والقول بالرجعة والبداء وإظهار الطعن والتشكيك في الصحابة ورموز الإسلام "[4]"

وكان أخطر ما لجأت إليه مختلف الفرق التى تبطن الكفر وتظهر الإيمان هو وضع وتلفيق أحاديث منسوبة للرسول عليه الصلاة والسلام بعد أن عجزوا تماما عن التشكيك بالقرآن الكريم المروى بالتواتر والثابت بمصحف واحد اجتمع عليه المسلمون فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فكان الطريق مفتوحا أمامهم لرواية الأحاديث المكذوبة المنسوبة للنبي عليه الصلاة والسلام لتحقيق ذات الغرض وهدم أركان الشريعة الصحيحة ، ويكفي لإدراك مدى خطورة هذا الأمر أن نعرف وضع السنة فى التشريع ، وهو وضع مؤسس للشريعة يأتى بعد القرآن الكريم مباشرة كمصدر مفسر له بالإضافة إلى كون السنة مصدرا مستقلا مشرعا فى الأحكام التى لم يتناولها القرآن مفصلة .

و لم تكن كارثة تزييف الأحاديث فى بدايتها مؤامرة منسوجة ومنتظمة وإما بدأت بشكل محدود انتبه إليه التابعون فى حياة بعض الصحابة عقب تفجر الفتن فقرر الأئمة ضرورة التيقن من رواة الأحاديث جميعا قبل اعتمادها صحيحة ، وجاء فى مقدمة صحيح مسلم

[4] ـــ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ـــ الإمام بن حزم الظاهرى ـــ الجزء الثانى

أن الإمام بن سيرين قال { لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما ظهرت الفتن قالوا سموا لنا رجالكم }

وكانت هذه الخطوة هى الخطوة الأولى للتيقن من صحة الحديث "[5]" .

ثم تعددت الجهات التى تزيف الأحاديث وانتشرت كالنار فى الهشيم وتنوعت بين دس خارجى من اليهود والفرس وبين دس داخلى من أصحاب المصالح والحكم ، وكل منهم يضع الحديث يؤيد به فرقته أو طائفته ، ولأن الصحابة رضوان الله عليهم انتقلوا بين مختلف الأقطار فقد تعددت منقولات الحديث فى شتى أنحاء البلاد الإسلامية من اليمن للشام ومن خراسان للشمال الإفريقي ، فاختلط الصحيح بالزائف وأصبح الأمر كجبل يجثم على صدور العلماء والفقهاء إزاء مناخ شاسع الاتساع يبدو مجرد التفكير فى تنقيته ضربٌ من ضروب الوهم والمستحيل ، لا سيما مع ظروف العصر التى تجعل العالم المحقق ربما يقضي بضع سنوات راحلا بين أنحاء الخلافة ليتيقن من صحة حديث واحد !

لكن من قال إن هذا الطراز من الرجال فى ذلك العصر الذهبي كان يعرف المستحيل ، ففور ظهور أبعاد الأزمة اجتمعت كلمة الأمة حكاما ومحكومين مع المحدثين فى سائر الأقطار ووضع كل منهم لبنة فى علم جديد مبتكر غير مسبوق اسمه علم الحديث وأخذوا فى وضع تصانيفه وأسسه وقواعده التى ساروا عليها فتحولت مع الوقت وجهد العلماء طبقة وراء طبقة إلى علوم متعددة للعلم الأم وهو علم الحديث واختص كل جماعة منهم بفرع أشبه بالأقسام الحديثة لأجهزة المخابرات ، فقسم يختص بالتحرى الشديد عن صفات وترجمة كل راوى أو ناقل للحديث ويضع آراء معاصريه فيه وهل هو ثقة يؤخذ حديثه أم لا وفق قواعد علم الجرح والتعديل الذى برز فيه وتألق يحيي بن معين والذهبي والرازى وبن عساكر والحافظ المزى والبخارى ، وقسم ثان اهتم بمصطلح الحديث حيث تناول فيه المحدثون شرح مدلولات الألفاظ فى رواية الحديث بمنتهى الدقة تحريا لعدم الخلط وأول من صنف فى هذا المجال القاضي أبو محمد الرامهرمزى فى كتابه { المحدث الفاصل بين الراوى والواعى }

[5] ـــ مقدمة فى علوم الحديث ـــ د. محمد أبو شهبة

وقسم آخر اهتم بتصنيف الحديث نفسه وأفرد لذلك كتبا مستقلة تحوى الصحيح الثابت فقط من سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وهى كتب نشأت بجهد المحدث عن طريق تحريه شخصيا للحديث المروى والتيقن من عدالة وأمانة كل راوى فى سلسلة السند ومن هذه الكتب المرجعية صحيح البخارى وصحيح مسلم وصحيح بن حبان وصحيح بن خزيمة فضلا على الكتب الأخرى التى تناولت الحديث بأشكال معالجة مختلفة كالمسانيد وهى أن تسند الأحاديث إلى الصحابي الذى رواها فيفرد العالم فى مسنده الصحابة على شكل أبواب وفى كل باب يسجل أحاديث كل صحابي مع ذكر السند .

وعلة ذكر السند أن يترك لمن بعده طريقة التحرى عنها بمصادر أخرى ، وأشهر المسانيد هى مسند الإمام أحمد بن حنبل ،

وقسم آخر اهتم بتصنيف الأحاديث على أبواب الفقه ككتب السنن .

وقسم ثالث جعل همه البحث خلف وضع القواعد التى تعالج أى تناقض أو غرابة تشوب الأحاديث النبوية لشرحها وبيانها فتفرع من هذا القسم علم غريب الحديث وعلم مختلف الحديث وعلم الناسخ والمنسوخ فى الحديث ، وأشهر من تصدى لمختلف الحديث كان الإمام بن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث الذى اهتم بمحو التناقض الظاهرى بين دلالات الأحاديث النبوية ، وأشهر من صنف فى غريب الحديث هو الإمام بن الأثير بكتابه الشهير (النهاية فى غريب الحديث والأثر) ، وكان الإمام الشافعى هو أول من أسس وبين أصول الفقه كما بين أصول الحديث وبيان الناسخ والمنسوخ فيه .

فوضعوا للتنسيق بين الأحاديث المتعارضة مائة وواحد وجه للتوفيق بينها ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل إنهم قرنوه بمعالجة كل تناقض تمت إثارته وحتى التناقضات التى لم تظهر قاموا هم بابتكار ما قد يظهر من تناقضات وضعوا لها الحلول !

وقسم آخر اهتم بالأحاديث الموضوعة الشهيرة حيث تفانى بعض المحدثين فى تصنيف الكتب المحتوية على أشهر الأحاديث الموضوعة والمكذوبة ليقطعوا الطريق على انتشارها وأشهرها اللائئ المصنوعة لابن الجوزى .

بالإضافة لعشرات الفروع الأخرى التى تأسست بمرور الزمن وكل جيل من العلماء يضيف لمن سبقه ضابطا آخر يزيد من دقة التحرى فى الحديث ويشدد فى قبول الصحيح

ورد الضعيف حتى انقشع غبار الأزمة نهائيا وجاء العصر الحديث حاملا معه آثار جهد عملاق قلّ أن تجده مثيله فى إصراره فشربت الأجيال الجديدة السنة النبوية صحيحة لا تشوبها شائبة من لغط أو غلط ، بعكس الحضارة الغربية التى فشلت فى الحفاظ على تراثها الدينى والتاريخى فورثته مشوها ومنوعا ليس فيه كتاب واحد صحيح ، بينما الحضارة الإسلامية قرآنا وسنة وتاريخا ليس فيها رواية واحدة ـــ لا أقول كتابا كاملا ـــ بل رواية واحدة ضعيفة أو موضوعة لم يتصد لها عالم أو أكثر بالبيان والتحقيق ، وحفل تاريخ السلف بعشرات الإختلافات والمناقشات بين العلماء فى مختلف العصور على صحة رواية أو بطلانها و لم تنته المناقشات إلا بالوصول إلى القول الثابت فيها .

من هذا نستطيع أن نقول بيقين دامغ ..

أن علماء الإسلام طبقوا تعاليم القرآن والسنة الصحيحة في ضرورة التثبت والتحرى ، فجعلوا هذه المزية خصيصة من خصائص الأمة ، والأهم من ذلك أنهم زرعوها كعامل تفوق في مواجهة التشكيك ، وعلى الأجيال المعاصرة – إن أرادت إعادة المجد القديم – أن تقف عند هذا العامل إذا أرادت إدراك كنه التفوق القديم وسر العجز المعاصر

وهنا ..

تنبه أعداء الإسلام إلى مدى الحصانة التي تمتع بها هذا الدين بفضل توفيق الله لعلماء الأمة في القيام بهذا العمل الغير مسبوق للحفاظ على أساسيات الرسالة ، فكان لزامـــا علـــيهم البحث عن أسلوب آخر يحقق الغرض .

أما الكيفية التي اتبعها هؤلاء المغرضون .. فهى التأمل في أساسيات الدعوة الإســـلامية ، ومن هذا التأمل وجدوا العناصر التي تعتمد عليها دعوة الإسلام تتمثل في ناقل الوحى عليه الصلاة والسلام ، وفى مضمون الوحى وهو القرآن والسنة ، وفى نقلة هذا العلم إلينا وهم الصحابة وأمهات المؤمنين .

فهناك من اختار الهجوم على شخص النبي عليه الصلاة والسلام في صدقه وفى عرضه الشريف وهناك من اختار التشكيك في الوحى نفسه عبر إثارة الشبهات في القرآن والسنة وكان الفريق الأخير هو الفريق الذى اختار الهجوم على المثل العليا من الصحابة وآل

البيت وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم ، وهذا الأسلوب هو أكثر أساليب الهجوم ضراوة وانتشارا ،

لأن إسقاط هؤلاء الرموز يقتضي بالتبعية إسقاط أمانتهم في نقل هذا الدين ، تماما كما عبر الإمام أبي زرعة الرازى المحدث الشهير عن هذا الأمر فقال :

(إذا رأيت الرَّجلَ يَنْتَقِصُ أحدًا منْ أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم؛ فاعْلَمْ أنَّه زِنْدِيقٌ، وذلك أنَّ الرَّسولَ صلى الله عليه وسلَّم عندنا حقٌّ، والقرآنُ حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسُّنَنَ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم، وإنَّما يريدون أن يُجَرِّحُوا شهودَنا لِيُبْطِلُوا الكتابَ والسُّنَّةَ، والجَرحُ بهم أَوْلَى وهم زَنادِقَة) "[6]

ولنا أن نتخيل لو أن الأجيال المعاصرة وضعت بأذهانها هذه الحقيقة ، هل كان من الممكن أن تؤثر فيها شبهة مغرضة يلقيها أصحاب الفرق أو غيرهم ؟!

ولقد تطاولت فرق مختلفة عبر العصور على سائر الرموز ، وبرز منهم فئة الرافضة التي تكن للصحابة وأمهات المؤمنين حقدا شخصيا نابعا من الفكر الدخيل للفرس ، والذين وجدوا في إسقاط هذه الرموز مدخلا حقيقيا للإنتقام من الإسلام الذى قوض نيران كسري بين عشية وضحاها ، و لم ييأس الرافضة عبر التستر خلف التشيع ودعوى محبة آل البيت ، ولا زال أذنابهم يحاولون لليوم أن ينالوا من خيرة هذه الأمة ـــ ليس فقط لهدم العلاقة بين الإسلام والمسلمين ـــ ولكن للتنفيس عن حقد أجيالهم المعاصرة لهذا الجيل الرائد الذى جعل من دولتهم الكبري حطاما وركاما .

وهنا تلاقت أهداف أعداء الداخل والخارج فاتخذ الهجوم على المثل العليا شكلا منهجيا منتظما .. لم يستح أصحابه أن يُظهروه للعامة على أنه من الدين !

ومنذ قيام الدولة الصفوية كشوكة في ظهر الخلافة العثمانية سارع الغرب إلى التحالف العسكري والفكرى معها بغرض إسقاط الخلافة وإسقاط العامل الرئيس خلف وجودها ، وهو عامل العقيدة الصحيحة ؛ فظهرت عشرات الكتب والمطبوعات والأقلام التي قام عليها عملاء الفكر الدخيل بهدف تقديم الإسلام في صورة معكوسة مشوهة لما عليه صورة الإسلام النقي الذى رعاه وأسسه الرعيل الأول ، وتحالفت مختلف قوى الفكر الغربي مع

[6] ـــ الكفاية فى علم الرواية ـــــ الخطيب البغدادى ـــ ص 97

مفكري التغريب في العصر الحديث الذى انضموا إليهم من الأوطان الإسلامية والعربية وجعلوا من أنفسهم مخلب قط من الداخل يحمل أهداف القوى الإستعمارية وينشرها .. وقام الإعلام المغرض بتضخيم الذاتية في أعماق هذه الزمرة من حملة الأقلام ووصفوهم بألفاظ العمادة والريادة حتى يغلقوا أمامهم فرصة العودة إلى رشدهم أو محاولة الإفاقة من الأسر الحداثي !

فظهرت مفاهيم الحداثة والتنوير والمذاهب الإنسانية الهدامة التي لا هم لها ولا منهج إلا الطعن في ثوابت الإسلام وفى المثل العليا التي نقلت هذا الدين كاملا إلينا .

لهذا فالإسلام يواجه اليوم هجمات يبرز فيها الغرب كعدو خفي بينما يظهر بالسلاح الفكرى الهدام مفكرو التغريب بين ظهرانينا بنداءات براقة تخفي وراءها الأغراض الحقيقية تحت زعم حرية الفكر .

ونظرة واحدة إلى الواقع الحديث والمعاصر تكشف لنا بوضوح حقيقة هذا التحالف !

فمعظم الشبهات والهجمات تأتينا على أيدى المغرضين بدعم غربي ، والغرب هو من قام بدعم هذه التيارات على اختلاف أشكالها وتزويدها بمختلف أنواع الوصول الإعلامى سواء في فترة الإستعمار أو ما بعدها .

واحتضن الغرب هذه الشخصيات الشاذة عن الطريق القويم تحت زعم دعم حرية الفكر ، في نفس الوقت الذى يتصدى الغرب نفسه لأى قلم جاد يقوم بنقد تيارات العنصرية كالصهيونية والعلمانية ، حيث يُعاقب كل كاتب أو مفكر يجرؤ أن يتعرض للثوابت الغربية ، وكل هذا في ظل حرية الفكر المزعومة والتى لا يتم تطبيقها إلا في حالة واحدة فقط وهى حالة الهجوم على الثوابت الإسلامية !

وبينما يتمتع مهاجمو الإسلام بالحماية والرعاية قام الغرب بمحاكمة مفكريه أنفسهم ، من أولئك الذين تصدوا لخرافات الصهيونية مثل المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودى

ولما كان مفكرو التغريب مفلسون كعادة المبطلين ، فقد استغلوا جهل العامة وعزوف أهل القلم عن الفكر الإسلامى الصحيح ، فأخذوا ينقبون في كتب الفرق القديمة ويستخرجون من ركامها ما سبق لعلماء المسلمين أن ردوا عليه عشرات المرات .

لكن هذه الفئة المضللة كانت واثقة من عزوف الناس عن البحث والتنقيب وأن تجديدهم لهذا الضلال قد يؤدى للنفع المطلوب في تشكيك الناس بعقيدتهم ورموزهم اعتمادا على عدم الإدراك والمطالعة ، عندما يعمدون إلى تكرار الشبهات القديمة واستقدامها من متحف التاريخ .. دون التنبيه على إبطال فعاليتها بالردود العلمية المقترنة بها والذي يتأمل الشبهات المثارة اليوم من أهل الأهواء ضد الرموز وضد السنة وضد السلف ، سيلاحظ بمقارنة سريعة أن هذه الشبهات تكرار حرفي لما سبق أن كرره المعتزلة وفرق الشيعة والروافض والقدرية وغيرهم من أهل الزيغ .

وكمثال بسيط على ذلك لو أننا تأملنا كتابا مثل كتاب (شرح مختلف الحديث) للإمام بن قتيبة لوجدنا فيه ردودا علمية وافية وكافية على عشرات الشبهات الحديثية المثارة ضد بعض أحاديث الصحيحين وغيرهما ، وهذه الشبهات هى بعينها نفس الشبهات التي أثارتها كتابات العلمانيين في عالمنا المعاصر في القرن الماضي والحالى واحتوت على نفس الاتهامات بالتناقض رغم أنها اتهامات مردودة في كتب الأئمة منذ 12 قرنا كاملة !

وقس على ذلك الشبهات على التاريخ الإسلامى ومحاولة إظهار التناقض في القرآن وهلم جرا

وكلها شبهات تم دحضها بأشرف العلوم الإسلامية .. علم الحديث ، العلم الذى انفردت به الأمة لحفظ وتنقية تراثها ، وبقية العلوم الإسلامية الشارحة والمبينة لأوجه الإختلاف والشذوذ

وقد بذل العلماء عبر القرون جهودا جبارة في ردع أصحابها ، لكن جهل أجيالنا المعاصرة بالأساس التاريخى لهذه الهجمات وقف خلف تأثر البعض بها .

وقد تعرضت السيدة عائشة رضي الله عنها – وهى المبرأة من فوق سبع سماوات – لمختلف هذه الهجمات وخصها المغرضون بكثير من الشبهات والإفتراءات ، وهدفهم في ذلك يعتبر هدفا مزدوجا ، فعن طريق الطعن فيها رضي الله عنها يتصور هؤلاء المغرضون أنهم ينالون من النبي عليه الصلاة والسلام نفسه ، والهدف الآخر فإن التشكيك فيها يضمن لهم التشكيك في السنة لما تميزت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من فضل في

هذا المجال حيث تبلغ مروياتها عن النبي عليه الصلاة والسلام في كتب الصحاح الستة 2210 حديثا ، وعدد رواياتها في الكتب التسعة هي 5965 حديثاً "[7]" .

فإذا تم إسقاط شخصية فذة مثلها فكيف بمن هم دونها من نقلة الحديث !

هذا بالإضافة لما يحققه لهم هذا الهجوم من تنفيس لحقد مكبوت عندما يتصورون أنهم يهدمون القيمة التي تمثلها عائشة رضي الله عنها بشخصيتها المنفردة أو لكونها زوجة النبي عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة ، أو باعتبارها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما

ولأن الهجوم المستعر على السيدة عائشة رضي الله عنها لم يتخذ شكلا منهجيا إلا عند طائفة الرافضة ، باعتباره من أدبيات دينهم ، حيث يعتبرون أن مفهوم آل البيت محصورٌ فقط بأهل الكساء ويخرج منه أمهات المؤمنين وبنو هاشم وبنو عبد المطلب ، بالخلاف لما عليه السنة ، فيلزم لنا أن نتعرض لنشأة التشيع والرفض لما يمثله هذا من أهمية لدى القارئ الذى لا يعرف عن الشيعة والتشيع شيئا ، لا سيما مع قلة المطالعة وعدم الإحتكاك في الأقطار التي تخلو من هذه الفتنة .

وعدم معرفة أساسيات التشيع وتاريخه هى التي تدفع بالشبهات إلى عقول وقلوب من لا يعرفون حقيقة هذه الفرق ، ومعرفة تلك الحقيقة كانت ـــ ولا زالت ـــ توفر كثيرا من الجهد في رد الشبهات عندما يثبت للقارئ أن مصدر الإفتراءات مصدر مغرض يتصيد لهؤلاء الرموز ..

فأغلبية العالم الإسلامى الغير محتك بالعقيدة الرافضية ، ينظر لعلماء الفكر الدخيل على أنهم من زمرة علماء الإسلام وهذا هو ما يتسبب في بعض التأثير ، نظرا لعدم معرفة الهدف والخلفية التي تقف وراء هذه الإعتداءات .

ولو توافرت لدى الجماهير المعرفة اليقينية بهذه التيارات لما أعطاها المستمعون آذانهم من الأصل

[7] ـــ رواية السيدة عائشة للحديث ـــ بحث للدكتور محمد عبده يمانى ـــ صحيفة الشرق الأوسط ـــ العدد 8396

الفصل الثانى :

عداوة أربعة عشر قرنا !

إلى كل متهجم على الإسلام " [8] "

أنا فى دفـــاعى عـــن أصـــول شـــريعتى ... حـــرّ اللـــسان بكـــل فكـــرٍ راقِ
فالـــدين أكـــرمُ مـــن متـــاجرة الهـــوى ... كـــى تحتويـــه بمنطـــق الأســـواقِ
يـــا عاديـــا .. عُـــد للحقيقـــةِ مَـــرةً ... فى هَـــدْى ديـــنٍ ثابـــت الأعـــراقِ
فكتـــاب ربي لا يُنَـــاقَش منطقـــا ... حـــتى تُعادلـــه مـــع الأوراقِ
للغـــربِ أبـــواقٌ تـــصب سمومهـــا ... فكـــرا يُـــسيل العـــتم فى الإشـــراقِ
أفهـــل تـــصم الأذن عـــن حـــق النـــدا ... وتفـــر مـــستمعا إلى الأبـــواق ؟!
ما كنـــت يومـــا .. تـــستحق عـــدواتى ... بـــل تـــستحق بمـــا تـــرى إشـــفاقي

[8] ـــ من قصيدة (إلى كل مغرور بعقله) ـــ المصدر السابق

الفصل الثانى :
عداوة أربعة عشر قرنا !

من أعظم الأخطاء التى يقع فيها المثقفون بل وبعض الباحثين المتخصصين أنهم يعالجون مسألة فرق الشيعة المختلفة دون أن يفصلوا بين التشيع الإسلامى العربي المعدود ضمن المناهج الإسلامية السياسية لا العقدية ، وبين الشيعة كفرقة رئيسية تفرعت إلى نيف وسبعين فرقة فيما بعد منها الفرق التى كفرت جهرة بالله ومنها من وقف على الكفر ومنها من بلغ حد الفسق .

والتفرقة فى هذا الأمر ضرورية للغاية لأن التشابه بين التشيع كمنهج سياسي والتشيع كفرقة ما هو إلا تشابه فى الاسم فقط لا علاقة له بالواقع العملى ؛ فالتشيع كحركة سياسية لا علاقة له بمفهوم التشيع كفرقة و لم يخرج التشيع السياسي عن كونه مناصرة سياسية للإمام علىّ رضي الله عنه فى الخلاف والفتنة التى قامت بعد استشهاد ذى النورين رضي الله عنه حيث انقسم المسلمون فى عهده إلى ثلاثة اتجاهات سياسية لا شأن لها بالإنتماء العقائدى الذى ظل كما هو بنفس مفهوم الصحابة بلا تغيير .

فالإتجاه الأول :

اتخذ جانب الإمام علىّ ورأى أنه على جانب الصواب فى خلافه مع معاوية رضي الله عنه وهذا الاتجاه هو اتجاه أهل السنة الذى لم يخالف فيه أحد أن معاوية رضي الله عنه كان مخطئا في اجتهاده والحق كان لجانب الإمام علىّ رضي الله عنه .

والاتجاه الثانى :

هو الاتجاه الذى اتخذ جانب معاوية رضي الله عنه باعتباره ولى الدم فى مسألة قتل عثمان رضي الله عنه ورأوه على حق فى مطالبته بالقصاص كشرط لبيعة الإمام على رضي الله عنه ، وهو اتجاه ضعيف لم يناصره كثير من الصحابة.

والاتجاه الثالث :

كان الاتجاه الذى اعتزل الصراع كله ورفض الخوض فيه تنفيذا لوصية النبي عليه الصلاة والسلام فى حال الفتنة بأن يتجنبها المسلم تماما إذا لم يتبين له الحق إلى أى جانب بوضوح

من هنا نخرج إلى نتيجة وهى أن التشيع كان مفهوما ونشاطا سياسيا فى خلاف وصراع وقع بين الإمام على وبين معاوية ولا علاقة لهذا الصراع بالعقائد حيث ظل الجميع تحت راية واحدة فى الدين وهى راية الإسلام الأول بلا تغيير .

أما التشيع كفرقة من الفرق التى اختلفت مع السنة فى الأصول واخترعت لها فى الدين عقائد غير موجودة كالإمامة النصية وأن الإمام علىّ وأبناؤه أوصياء منصوص على خلافتهم بالنص من القرآن والسنة إلى غير ذلك من الاعتقادات فهذه ليست لها علاقة بالتشيع العربي السياسي الذى كان قائما فى زمان الإمام علىّ نفسه وفى زمان الأئمة من أبنائه حيث كانوا جميعا من أهل السنة و لم يعرفوا شيئا مما ادعته الفرق الباطنية التى ظهرت فى العراق بعد وقوع الفتنة .

ويلزم لنا معرفة أصل التشيع العربي أولا قبل العروج على التشيع العقدى ، والتشيع العربي أو التشيع السياسي نشأ فى أحداث الفتنة الكبري ، والتى بدأت باستشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله وتجددت بعد تولى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهى الفترة التى تعرضت لأقصي قدر من التشويه فى التاريخ الإسلامى – كما سنبين – بالإضافة إلى أنها كانت البذرة الخصبة لواضعى الروايات الملفقة للطعن فى الصحابة رضي الله عنهم وتصوير الخلاف فيما بينهم على أنه صراع دنيا أو صراع حكم وهو الأمر الذى يعتبر إفكا مبينا نوضحه فى المعالجة التالية الموثقة لأحداث الفتنة الكبري من أوثق مصادرها

نظرة إلى قيمة الصحابة وأمهات المؤمنين

من مصائب الأمة اليوم دون شك ، أنها استجابت نوعا ما لدعوة أهل الطعن فى الصحابة وآل البيت وأمهات المؤمنين ، ونظرت إلى الروايات التاريخية المزيفة التى رواها رواة التاريخ غير العدول على أنها روايات صحيحة رغم أنها تحمل مطاعن فى أشرف جيل للإسلام وهو الجيل الذى حمل الرسالة وكان وسيلة إيصالها لأقطار الأرض وإيصالها للأجيال وراء الأجيال .

والأمر لا يخلو من حماقة وغباء مطلق ، ففي البداية مثل هذه المطاعن كيف يمكن قبولها ومن رواها هم الكذابون المعروفون بحقدهم ضد هذا الجيل مثل رواة الشيعة والإخباريين ، بالإضافة إلى ما هو أطم أننا غفلنا عن القرآن الكريم الذى يمثل الثبوت المطلق والدليل المنفرد بذاته على تزكية هذا الجيل كله ، فأهملنا دليل القرآن فى تزكيتهم وقبلنا دليل الزنادقة !

والطعن فى جيل الصحابة قديم وموجود فى كتب التاريخ التى نقلت لنا الروايات جميعها وأخضعها أهل التحقيق لتحقيقهم وبينوا زيفها غير أن الجهل العام فى عالمنا المعاصر دفع العلمانيين والشيعة ومن تابعهم فى حرب الإسلام إلى استغلال رواج تلك الروايات ليصلوا إلى أغراضهم فى التشكيك بهم .. والتشكيك بهم يعنى التشكيك فى الدين الذى نقلوه ، وهذا هو الهدف الوحيد لكل طاعن بالصحابة وأمهات المؤمنين .

لكن المشكلة أن بعض الكُتاب والمفكرين ومعظم العوام ذهبوا إلى تلك المرويات فقبلوها وكتبوا عن تلك الاتهامات الموجهة للصحابة ونشروها ، وهم ليسوا من أهل الصنعة ولا الخبرة حتى يميزوا بين الروايات الصحيحة والروايات العرجاء .

كما أنهم غفلوا عن منهج أهل السنة فى كتابة التاريخ واعتبروا مجرد ورود الرواية فى كتاب تاريخى ، شهادة بصحتها !

والأهم من ذلك أنهم غفلوا عن جلالة هذا الجيل وتعاملوا معهم كما كانوا من أرباب هذا العصر الذى نعانى منه ، بينما الصحابة عاشوا فى عهد النبوة حيث كان ولا زال جيلهم بشهادة الله عز وجل ونبيه عليه السلام أفضل أهل الأرض بعد الأنبياء والرسل ، فلا يوجد

مثيلهم أبدا لا فى الزهد ولا فى الإيمان ولا فى التقوى وأمثالهم تهرب منهم الذنوب وتتنافر مع طبيعتهم ، وهم وإن كانوا غير معصومين فهذا لا يعنى إطلاقا أن نتصور فى أحـــدهم إقدامه على ذنب عامدا متعمدا لأجل دنيا .

فلما نظر هؤلاء المفكرون إلى الصحابة نظرتهم إلى أى جيل وعالجوا عصرهم كما كـــان عصرا عاديا من السهل أن تجد فيه أطماع الحكم وشهوات الدنيا ، تسربت بناء على ذلك إلى النفوس تلك النظرة الخاطئة عن هذا الجيل الفريد .

فازداد تعلق العامة بهذه الروايات وأصبح من قبيل الثقافة العامة أن تجد تلـــك المطـــاعن منتشرة بينهم ، رغم أن فتن الحكم ومطالب الدنيا لم تكن تمثل فى عرف الصحابة شـــيئا يُذكر ولا يوجد دليل أو شبهة دليل صحيح تقول بذلك ، و إذا نظرنا للقـــرآن الكـــريم وتأملنا بالعقل وحده كيف انتشر فى ربوع آياته تزكية هؤلاء الأطهار لعلمنا أن الأخبـــار المنقولة بخلاف ذلك إنما هى من الإفك المبين ، وهذا ما ينبغي لكل عاقل أن يدركه لأننـــا نقارن هنا بين الدليل من القرآن والدليل من مروجى الأخبار فكيف ندع الأول ونأخـــذ الثانى !

يقول عز وجل ،

[لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ] {الحشر:8}

والآية قطعية الوضوح والصراحة فى أن المهاجرين جميعا هم من نصر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وشهد لهم الله تعالى الذى يعلم سرائرهم أنهم هم الصادقون فهل من الممكن أن نقبل بعد هذا بتشكيك مشكك فى عدالتهم ؟!

ويقول أيضا :

[وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ] {التوبة:100}

وهذه الآية جمعت الجيل كله المهاجرون والأنصار ومن تلاهم من بعد الفتح فأسبغ عليهم الله تعالى الإحسان وشهد لهم بأنهم أصحاب الجنة والرضوان

ويقول أيضا :

[لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] {التوبة:117}

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن غزوة تبوك التى خرج فيها النبي عليه الصلاة والسلام بكل صحابته للقتال ، و لم يسمح لأحد بالتخلف ، فأنزل الله تعالى بحقهم هذه التوبة ومعنى هذا أنها شملت اثني عشر ألف صحابي خرجوا مع النبي عليه الصلاة والسلام من المهاجرين والأنصار ومُسْلمة الفتح و لم يستثن القرآن الكريم أحدا منهم قط ، حتى الثلاثة من الصحابة الذين تخلفوا بلا عذر ، أنزل الله توبته ومغفرته عليهم لينضموا إلى إخوانهم فقال جل شأنه :

[وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {التوبة:118}

و لم يقتصر القرآن الكريم على وصف هؤلاء الأطهار بل وصف حال من سيأتى بعدهم من أجيال وجعل الإيمان رهنا فقط بالذين اتبعوهم بإحسان فاستثنى بذلك الله عز وجل كل إنسان خاض لسانه فى هذا الجيل ، حيث يقول تعالى :

[وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] {الحشر:10}

أى أن وظيفتنا نحن الذين تبعناهم أن نقول ربنا اغفر لنا ولهم ولا نجعل فى قلوبنا غلا لأحد منهم قط ، وهذا هو الأمر الطبيعى البدهى لأن إيماننا ما كان له أن يتحقق لو لم يصمد هؤلاء النفر مع النبي عليه الصلاة والسلام ويحملوا أمانة الرسالة ويبذلون الدم والنفس والأهل والمال فى سبيل إعلاء كلمة الحق ، وفى ذلك يقول الإمام علىّ رضي الله عنه مخاطبا شيعته من على منبر الكوفة كما فى نهج البلاغة ـــ وهو أحد مصادر الشيعة المعتمدة يقول :(ولقد رأيت أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فما رأيت أحدا يشبههم منكم ولقد كانوا يصبحون شعثا غبرا ويقبضون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى – يعنى علامة السجود –)

أما أمهات المؤمنين وعلى رأسهم حبيبة النبي عليه الصلاة والسلام ورفيقته فى الدنيا والآخرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فقد جاء القرآن الكريم وساوى فى الحكم بين زوجات النبي عليه الصلاة والسلام وبين الأنبياء والرسل عليهم السلام فى مسألة التعرض لهم أو محاولة إسقاط حشمتهم ..

قال عز وجل عن الإفك المبين :

[يَعِظُكُمَ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] {النور:17}

فجاء النص القرآنى كاشفا على أن التعرض لهذا الحديث ينفي الإيمان فى المطلق لأنه تكذيب لله ورسوله عليه الصلاة والسلام وهذا كفر بإتفاق المسلمين ـــ كما نقل الإمام بن تيمية فى الصارم المسلول ـــ وما ينطبق على السيدة عائشة رضي الله عنها ينطبق أيضا على بقية زوجات النبي عليه الصلاة والسلام باعتبارهم سواسية فى فضل أمومة المؤمنين ، يقول تعالى :

[النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُورًا] {الأحزاب:6}

وقد أنزل الله عز وجل هذه الآيات المحكمات بحق الصحابة وأمهات المؤمنين نصوصا غير قابلة للنقض والمراجعة ، وهو الذى يعلم السر وأخفي، فليس بعد قول الله- عز وجل- قول

وقد أمرنا أن نستغفر لهم ونحبهم ونفدي سيرتهم العطرة بالنفس والمال ، هكذا أمر الله فجاءت بعض الأجيال بعد ذلك وتحت مختلف الأغراض تحمل الطعن والتشكيك فى هذا الجيل الفريد بل وفى حق أعلامهم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلىّ رضي الله عنهم ، والعاقل لا يحتاج ردا على تلك الشبهات التى يثيرها المغرضون ، والذين ارتضوا لأنفسهم أن يقفوا فى خندق واحد مع العلمانيين والمستشرقين أعدى أعداء الإسلام لكى يمارسوا معهم نفس الفعل فى الطعن واللعن على أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام .

فالعاقل لابد له أن يقرن هذه الأقوال بآيات القرآن الكريم لكى يطرح عن نفسه أى حاجة لتفنيد أى شبهة بحق أى صحابي ، فليس بعد قول الله قول .

بالإضافة لما هو أهم وهو أن النظر إلى هؤلاء الطاعنين ممن يدعون الإسلام يكفي وحده لاكتشاف هويتهم ، لأنهم ـــ كما قلنا ـــ وقفوا فى خندق واحد مع أعداء الإسلام ومجرد الاتحاد فى الغرض والفعل يكفي لرفض أى قول لهم بحق أى صحابي .

وما أصدق قول الإمام أبي زرعة الذى قال :

(إذا رأيت الرجل يطعن فى أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فاعلم أنه زنديق ، ذلك أن الدين عندنا حق وإنما أداه لنا هؤلاء الصحابة والذين يطعنون فيهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا والجرح بهم أولى وهم زنادقة)

وكعادة جميع الأفاكين يأتون بشبهات عرجاء وبأحداث ملفقة ليتمكنوا من التشكيك فى الصحابة ، فيأتون لآيات القرآن الكريم التى نزلت فى المنافقين فيسقطوها على أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؟!

ومن ذلك :

[وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ] {التوبة:101}

والسؤال المنطقي أين وجه الدلالة فى الآية لكى يطعنوا بها على الصحابة ، فنعم كان هناك منافقون بالمدينة يعلم النبي عليه السلام بعضهم والبعض الآخر لا يعلمهم ، أما الذين علمهم فهم عبد الله بن سبأ وشيعته ، وأما الذين لم يعلمهم فهؤلاء هم جيل المرتدين الذى منعوا الزكاة فحاربهم أبو بكر رضي الله عنه ، ونلفت النظر إلى أننا جئنا بآيات محكمات واضحات فى تزكية المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة فلو كان بينهم استثناء لبينه الله أو بينه النبي عليه الصلاة والسلام .

بينما نجد النبي عليه السلام شدد فى الوصية على مدح أصحابه سواء فرادى بأسمائهم أو بمجموعهم ومن ذلك قوله عليه السلام فى حديث البخارى من رواية أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه :

(لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)

وفى صحيح البخارى من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

(قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : (أنتم خير أهل الأرض) . وكنا ألفا وأربعمائة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة . تابعه الأعمش : سمع سالما : سمع جابرا : ألفا وأربعمائة .)

والآثار فى ذلك أكبر من أن تحصي ..

بخلاف الأحاديث المستفيضة فى مدح أعيان الصحابة مثل العشرة المبشرين زعماء الصحابة وأيضا بقيتهم مثل جليبيب وعمار والمقداد وأبو ذر وأبو هريرة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية رضي الله عنهم وعشرات غيرهم ، ومن الأدلة العقلية الصريحة أن الله عز وجل قال فى كتابه

[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ] {آل عمران:110}

فهذا المدح العظيم للأمة الإسلامية ورد أول ما ورد فى حق الصحابة وجيلهم الفريد ، وقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه مدح ثلاثة أجيال أولها جيل الصحابة وتابعيهم من بعدهم ومن بعدهم وهى القرون الثلاث الأولى خير القرون للأمة الإسلامية والتى صارت فيها كلمة الله هى العليا .

ففي صحيح البخارى من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه :

(خير أمتي **قرني** ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم–قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا – ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن)

وبمجموع هذه النصوص والأدلة أدركت الأجيال الأولى للإسلام ـــ حيث كانت دولة الإسلام العظمى ـــ أن عنوان الهداية إنما يرتبط بما كان عليه أولها ، فتتابعت أقوال كبار العلماء كمالك والشافعى وبن حنبل وأبي زرعة وكافة علماء المسلمين فى التحذير من انتهاك حشمة هذا الجيل كون هذا الجيل هو خير الأمة طيلة تاريخها ، فلو لم تكن هذه الزمرة هى خير أمة فمتى كنا خير أمة إذا ؟!

فلما عجز الأفاكون أمام النصوص الصريحة الصحيحة ذهبوا سريعا إلى الروايات المكذوبة الموضوعة مستغلين جهل الناس بمصداقية الروايات وكيفية الكشف عنها وجهلهم بمنهج كتابة التاريخ الإسلامى فى المصادر الأصلية كما سنرى .

كيف انتشرت الأباطيل التاريخية :

الجريمة الكبري التى تمت بحق التاريخ الإسلامى أن بعض المؤرخين والمثقفين المعاصرين أخذوا عن تاريخ الإمام الطبري المعروف باسم (تاريخ الأمم والملوك) واعتبروا مجرد ورود الروايات فيه معناها أن الطبري يعتقد صحتها وهذا غير صحيح حيث نص الطبري فى مقدمة تاريخه على أنه جمع كل الروايات التى أتت إليه وبين إسنادها ومصادرها وترك للمحققين من بعده النظر فى صحتها وتلخيصها "[9]" .

وهذه جريمة تتابعت على مر الزمن لأن التاريخ مثله مثل الحديث النبوى خضع للتحقيق والتصحيح والتضعيف عن طريق ، تفنيد ونقد المصادر الأولى ..

ولو أخذنا تاريخ الطبري مثالا وهو المرجع الأم الأكبر فى مجاله فإن مرويات الكذابين من الشيعة الإخباريين ـــــ أحصاها الدكتور خالد كبير علال ـــــ فزادت عن ثلاثة آلاف رواية باطلة سندا ومتنا وأصحابها أربعة فقط من رواة الشيعة المطعون فيهم ، والمشكلة الكبري أن تلك الروايات تعالج الفترة الأكثر حساسية فى التاريخ الإسلامى وهى الفترة من وفاة النبي عليه الصلاة والسلام إلى استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه "[10]" .

وانتشرت تلك الروايات المغلوطة بين العامة وبين أقلام المثقفين المعاصرين باعتبارها من ، المسلمات التاريخية رغم أن العلماء قديما وحديثا بينوا مدى بطلانها

---

[9] ـــ تاريخ الأمم والملوك ـــ المقدمة ـــ طبعة دار بيت الأفكار

[10] ـــ روايات الكذابين فى التاريخ الإسلامى ـــ بحث قيم للدكتور خالد كبير علال ـــ بالشبكة العنكبوتية

وما حدث فى الفتنة يمكن تلخيصه فى الآتى :

أولا : أجمع المسلمون بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام على تولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لسابقته وفضله وولايته أمر الصلاة فى حياة النبي عليه السلام عند مرضه حيث أصر النبي عليه السلام على أن يتولى أبا بكر الصلاة وقال فى ذلك حديثا شهيرا ورد بعدة طرق منها كما فى البخارى (يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر) وقد روى البخارى حادثة السقيفة التى نجمت عنها مبايعة الصديق بالرواية الصحيحة حيث تم الاتفاق على البيعة بلا منغصات

وقبلها جميع الصحابة فيما بعد بالشورى حيث أن النبي عليه الصلاة والسلام ترك الأمر فى الحكم والخلافة شورى بين المسلمين وانتهى بذلك عصر النبوة والعصمة .

وعليه فالروايات المزيفة التى تروى عن رواة الشيعة كأبي مخنف لوط بن يحيي الأزدى أن هناك خلافا وصراعا دب على السلطة كلها عبارة عن ترهات دسها هؤلاء الإخباريون و لم تثبت قطعا بأى سند صحيح ، وقد لجأ المؤرخون لرواية الطبري ونقلها بعضهم وهى رواية منقولة عن الشيعي أبي مخنف الذى أجمع المحدثون على أنه من أهل الكذب "[11]" .

والرواية الصحيحة الواردة فى البخارى تغنى كل طالب حق عما سواها

وفضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أكبر من أن يسعها مقام الكلام ، فيكفيه أنه كان ثانى إثنين إذ هما فى الغار وخصاله وفضائله التى بينها النبي عليه الصلاة والسلام لا تكاد تحصي وقد نصر الله به الإسلام أولا وآخرا ، حيث شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بأنه الوحيد الذى لم يكن فى إيمانه تردد ولا تلعثم .

ولقبوه الصديق يوم أن كان الذى بادر إلى تصديق النبي عليه الصلاة والسلام فى رحلة الإسراء والمعراج مع إنكار القوم لها ، وهو الذى دعا أساطين الصحابة فيما بعد للإسلام كما نصر الله به المستضعفين حيث بذل ماله كله فى سبيل الله وفى ذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام : (ما نفعنى مال مثلما نفعنى مال أبي بكر)

---

[11] ـــ مرويات أبي مخنف فى تاريخ الطبري ـــ رسالة ماجستير للدكتور يحيي إبراهيم اليحيي ـــ جامعة الإمام بالسعودية

وعندما تولى الخلافة وبدأت أحداث الردة وارتجفت الأرض نارا من حول المسلمين ما بين ردة القبائل داخل الجزيرة وبين طمع الروم فى حرب المسلمين أيضا.

ولكن كان هناك أبو بكر ، صاحب العزيمة التى لا تلين والثقة التى لا تنضب فحارب المرتدين فى نفس الوقت الذى نفذ فيه أمر النبي عليه الصلاة والسلام فى إنفاذ جيش أسامة بن زيد إلى حدود الروم وردعهم ، رغم ما يعنيه هذا من خطورة عندما تبقي المدينة بلا جيش فى مواجهة المتربصين ، وقال فى ذلك كلمة تكتب بماء الذهب :

(والله لو لعبت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين فى المدينة ما تركت أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام)

ثم شكل القيادات والسرايا والبعوث وأخمد نار الفتنة فى الجزيرة و لم يتوان بعدها أو يستريح بل شكل الجيوش الإسلامية لفتح فارس والشام ، فكانت البداية التى تواتر عقدها بعد ذلك فى عهد الفاروق ، وتوفي رضي الله عنه ودفن إلى جوار النبي عليه الصلاة والسلام طاهرا مطهرا وقد لعبت الروايات الشيعية دورا فى محاولة تشويه صورته بأسلوب ساذج فأثاروا الشبهات حوله وتكفل العلماء بالرد عليها تفصيلا "[12]" .

ثانيا : قبيل وفاة أبي بكر رضي الله عنه أوصي بعد استشارة أصحابه على تولية عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة للمسلمين فناقشه فى ذلك بعض الصحابة لما يعرفون من شدة عمر فى الحق فأقنعهم أبو بكر بأنه يترك عليهم خير خلق الله فى زمانه كما هو فى رواية بن سعد فى الطبقات الكبرى "[13]".

وخرج كتاب البيعة لعمر مع عثمان بن عفان رضي الله عنه وقرأه على الناس وهم جميعا حاضرون فقبلوه وتولى الفاروق أمر الأمة فكانت أزهى عصور الخلافة ؛ حيث سقطت فى عهده دولتى فارس والروم معا وكانت الجيوش الإسلامية تحارب على الجبهتين معا فسقطت فارس فى يد كبار مجاهدى الجبهة مثل المثنى بن حارثة وخالد بن الوليد قبل انتقاله لجبهة الشام وأيضا سعد بن أبي وقاص قائد جبهة الفرس فى موقعة القادسية وغيرها

---

[12] ـــ حقبة من التاريخ ـــ خلافة أبي بكر ـــ ـــ الشيخ عثمان الخميس

[13] ـــ الطبقات الكبري ـــ ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـــــ بن سعد الواقدى

وسقطت الروم وافتتح بيت المقدس على يد مجموع الجيوش الإسلامية فى الشام بقيادة خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وزياد بن أبي سفيان ومعاوية شقيقه رضي الله عنهم .

أما فى العدل فحدث ولا حرج حيث لا زالت سيرة عمر بن الخطاب تمس الأفق فى عدله وورعه ، بل تجاوزت سمعته فى العدل والإنصاف حدود دولة الإسلام إلى الغرب حيث أنصفه الأوربيون فوضعوه ضمن أعظم مائة شخصية فى الإسلام "[14]"

وفى التنظيم الإدارى قدم للخلافة الدواوين وأنشأ عدة أنظمة إدارية للعطاء والخراج فحقق فيه قول النبي عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح : (لم أر عبقريا يفري فريه)

وفضائله ومآثره كثيرة جدا وكلها تشي بفرط عدله وحياديته فى الحكم وتبجيله وتوقيره للصحابة رضي الله عنهم ، وأيضا تناولته الروايات الشيعية بالتنقص وخصته بكثير من هذا الغثاء والسبب الرئيسي إنما يعود لأنه كان الخليفة الذى فتح الله على يديه إمبراطورية فارس وأطفأ نار المجوس فلم تقم لهم قائمة بعدها .

ولا ننسي أن نشير إلى رواية غير صحيحة تداولتها كتب التاريخ قديما وحديثا وهى رواية لا تثبت ، وهى قصة إسلام عمر بن الخطاب حيث تقول القصة الشهيرة أنه أتى يريد قتل النبي عليه السلام فى دار بن الأرقم فسمع أن أخته فاطمة بنت الخطاب أسلمت وزوجها فحول وجهته إلى بيتها وضربها على وجهها فلما سال الدم رق لها وطلب منها أن يري صحيفة القرآن ، وعندما رآها وقرأ ما فيها دخل فى الإسلام

هذه الرواية لا تصح و لم تثبت سندا رغم شهرتها الواسعة لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فى بطحاء مكة عند الكعبة على يد النبي عليه الصلاة والسلام بعد حوار قصير بينهما "[15]" .

ونلفت النظر هنا إلى نقطة هامة للغاية وهى أن الشيعة استغلت هذه الرواية الشهيرة عن ضرب عمر لفاطمة شقيقته لكى تسقط الرواية على فاطمة الزهراء رضي الله عنها

---

[14] ـــ العظماء مائة أعظمهم محمد ـــ مايكل هارت ـــ ترجمة أنيس منصور

[15] ـــ برنامج (حقبة من التاريخ) ـــ للشيخ عثمان الخميس ـــ قناة صفا الفضائية

فاخترعوا أسطورة أن عمر ضرب الباب على فاطمة رضي الله عنها وكسر ضلعها وذلك لإجبار على بن أبي طالب على البيعة لأبي بكر ..

وكأن عمر وأبا بكر وغيرهما من الصحابة أعضاء فى حكومة ثورية كالتى يشهدها عالمنا المعاصر

ونحن لا نحتاج قطعا إلى أن نثبت زيف هذه الأسطورة التى تمثل عارا على جبين الرافضة إلى اليوم حيث أنها أظهرت علىّ رضي الله عنه بصورة العاجز عن الدفاع عن زوجته أمام اعتداء مباشر !

ومن الملاحظ أن عددا من مراجع الشيعة اليوم مثل محمد حسين فضل الله المرجع الشيعي اللبنانى شعروا بخزى هذه الرواية التى ينشرونها بين عوامهم لمجرد تشويه صورة عمر رضي الله عنه بما لا يقبله العقل ولا يقره النقل فأنكروها إنكارا شديدا .

وكما قلنا سابقا أن الحقد الشيعي على عمر متأجج بشكل فادح بسبب دوره فى إسقاط فارس ولهذا لعب الفرس الذين تستروا بالتشيع لعبتهم فى اختلاق هذه الروايات التى تناسب طبيعتهم ومجتمعهم ولكنها تتنافي حتى مع أخلاق العرب فى الجاهلية فضلا عن الإسلام .

ثالثا : بعد اغتيال عمر بن الخطاب واستشهاده رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي الفارسي لعنه الله .. أوصي قبيل موته بأن يكون الأمر شورى فى الستة الباقين من العشرة المبشرين بالجنة يتداولوا الأمر ويرتضون الخليفة الثالث فيما بينهم .

ومن فرط عدله رضي الله أبي أن يدخل فى الشورى صهره سعيد بن زيد رغم أنه من العشرة وذلك تلافيا للمجاملة التى قد تكون نظرا للقرابة بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فتخيلوا أى حيادية وأى عدل كان يمثله الفاروق رضي الله عنه ، فرغم أن سعيد بن زيد من العشرة وفضله معروف ويحق له الدخول فى الشورى والاختيار إلا أن مجرد قرابته من عمر وشكه أن الناس قد تجامله لذلك قام باستبعاده على الفور .

ومن الإشاعات المغرضة التى روجتها الروايات الباطلة أنه أمر بقتل أصحاب الشورى إذا لم يتفقوا وهذا مما يدل على الغباء فى التزوير قبل أن يدل على خبث الطوية ، فكيف يجرؤ عمر رضي الله عنه على هذا الأمر بحق كبراء الصحابة ، وما هو هدفه من ذلك وهو على

فراش الموت ؛ والرواية الصحيحة الثابتة أنه اختار أهل الشورى وأمرهم أن يجمعوا أمرهم بينهم على خليفة قبل مضي ثلاثة أيام درء للفتنة ، وكان أصحاب الشورى ستة هم عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وفى أول اجتماع تنازل عبد الرحمن بن عوف وفضل أن يكون حياديا دون تزكية أحد ، فارتضي به الخمسة حكما بينهم

وتنازل طلحة والزبير وسعد لصالح الصحابيين الجليلين عثمان وعلىّ وبقي الخيار بينهما ، فقام عبد الرحمن بن عوف بأوسع استفتاء شهدته الخلافة التى ما رأت من قبل انتخاب خليفة على مستوى القاعدة الشعبية بأكملها قبل ذلك ، لأن الخلافة كانت تتم بالتشاور بين أهل الحل والعقد فى المدينة ثم تطرح هذه الزمرة الفاضلة ـــ التى كانت تشكل مجلسا أشبه بالمجلس التشريعي اسم الخليفة وتعلنه بين العامة فى المدينة وباقي الأمصار فيتولى الخلافة

أما فى أمر أصحاب الشورى فقد جاب عبد الرحمن بن عوف بيوت أهل المدينة جميعا لثلاثة أيام يستفتى الناس ويري اختيارهم فاختاروا عثمان بن عفان رضي الله عنه إجماعا ، فكانت بيعته البيعة الأولى من نوعها فى شعبيتها وذلك لأنه ما من أحد اختلف على تقديمه لسابق فضله .

وبايع الإمام علىّ مع المبايعين ولا إشكال وعمل كعادته وزيرا مع الخليفة الراشد عثمان كما كان من قبل وزيرا لأبي بكر وعمر وأصبح من المتعارف عليه بين الصحابة والمجتمع الإسلامى أن العشرة المبشرين هم أسياد الصحابة وأفضلهم الأربعة الأوائل بالترتيب ثم يتساوى الستة الباقون ثم يتبعهم فى الفضل أصحاب بدر ثم أصحاب أحد ثم بقية المشاهد ثم يتساوى الميزان مع سائر الصحابة ، وفى هذا المعنى قال عبد الله بن مسعود فى رواية السيوطى بتاريخ الخلفاء :

(كنا نفضل الناس بأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىّ ثم سائر العشرة ثم أهل المشاهد ثم نترك الناس لا نفاضل بينهم)

وكانت سنوات خلافة عثمان امتدادا للعظمة الراشدة التى أقرها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاستمرت الفتوحات شرقا وغربا واتسعت إلى مدى هائل شمل سائر إفريقية وبلغ

خراسان ، وتوسعت المعيشة وازداد الرغد بسبب تدفق الغنائم ، ومضت السنوات على عهد النبي عليه الصلاة والسلام واتسعت دائرة المسلمين فشملت أقواما من العجم فيهم ما فيهم سواء من النفاق أو الصلاح .

وافتعل عبد الله بن سبأ وبعض أقرانه من الفرس فتنة عمياء فى مصر والعراق تهتف ضد الخليفة الراشد وتدعو للثورة عليه وخلعه فى مفاهيم كانت جديدة على العالم الإسلامى الذى كان لا يزال يعيش مشكاة النبوة .

ومارس رواة الشيعة دورهم المعتاد فألفوا عشرات الروايات عن مطاعن تمس عثمان رضي الله عنه وتروى الفتنة بوجهة نظر لم تكن واقعا ملموسا وأثبت المحدثون وعلماء الأخبار كذبها جميعا "[16]".

و لم تكن الثورة على عثمان ثورة كما صورها هؤلاء المؤرخون بل كانت شغبا قادته شراذم تعد بالعشرات وتتبعها طبقات من الجهلاء والعوام اجتمعوا فى المدينة المنورة وتجمعوا حول دار الخليفة مطالبين بعزله .

هنا ثار الصحابة إلى السلاح لتطهير المدينة من تلك العصابات والدفاع عن الخليفة لا سيما وأن شيئا مما عابه الثوار على عثمان لم يكن أثر واقع ، ثم تطورت الأمور بعد رحيلهم واستجابتهم لتهديد الصحابة ليعودوا مرة أخرى إلى المدينة زاعمين أن عثمان أرسل لعامله على مصر عبد الله بن سعد بأن يقتل هؤلاء الثوار وأبرزوا كتابا مفترى على عثمان لا أصل له واتضحت أبعاد المؤامرة عندما سألهم الإمام على بن أبي طالب كيف اجتمعتم مرة أخرى وقد ذهب أهل العراق باتجاه العراق وذهب أهل مصر باتجاه مصر ، كيف عرف أهل العراق بحكاية الكتاب حتى يعودوا فى نفس التوقيت مع أهل مصر ؟!

وكان واضحا للجميع أن الأمر مدبرا بليل فلبس الإمام علىّ سلاحه وطلب من عثمان أن يمنحه الإذن بالقتال فأبي عثمان بإصرار شديد تورعا من تبعات الدماء وراجعه جميع الصحابة فأصر على الرفض ، ثم طلب عثمان من أولاد الصحابة الذين يبيتون حوله يحرسونه أن يخرجوا إلى منازلهم وأقسم عليهم بطاعته ، فاستغل الثوار الفرصة ووثبت شرذمة منهم إلى دار الخليفة فقتلوه وهو يقرأ فى المصحف .

---

[16] ـــ تحقيق موقف الصحابة من الفتنة ـــ رسالة دكتوراة مطبوعة ـــ د. محمد أمحزون

وكانت حادثة الاغتيال غير متصورة فى عقول سائر أهل المدينة لكونهم لم يفكـــروا فى أن الأمر سيصل بهؤلاء إلى مثل تلك الجريمة لكن ما لم يحسبه الصحابة أن قادة الفتنة كانوا قد انتظموا وصارت لهم أتباع بالآلاف وكلهم من الغوغاء واهتزت المدينة للحادث الجلـــل وكاد زمام الأمور يفلت لولا أن استجاب الإمام علىّ للبيعة فخرج للمسجد وبايعه الناس وأولهم الصحابة .

أما الإفك المبين فكان متمثلا فى عدة روايات اختلقها الرواة الشيعة وكلها مطعون فيها بلا جدال ، ومنها على سبيل المثال :

* أن الصحابة رضي الله عنهم من ثاروا على عثمان لإنكارهم عليه بعض تصرفاته ، وهذا من الكذب بلا جدال فلم يكن بين المشاغبين صحابي واحد ولا حتى عامى من أهل المدينة ومن أكبر الإفك أن من روجوا هذه الشائعة جعلوا سبب ثورة الصحابة أن عثمان رضي الله عنه ساوى بين الصحابة فى العطاء وكان عمر رضي الله عنه قد فرق فى العطاء بـــين الصحابة القدماء وبين الذين أسلموا بعد الفتح .

وهذا المطعن يسقط بمجرد النظر إليه لأنه يتنافي وأخلاق الصحابة فى ذلك العهد وهـــوان شأن الدنيا عليهم إلى الحد الذى جعلهم يبذلون ما يأتى إليهم من أموال فى سبيل الله ولا يحتفظون لأنفسهم بشيئ ! فكيف يثور أمثال هؤلاء على المال ، هذا بالإضافة لخلو كتب التاريخ الموثقة من أى ذكر صحيح لو برواية واحدة تشير إلى اشتراك الـــصحابة فى هـــذا الأمر

بل الروايات تجزم بأن من وقف للفتنة دفاعا عن عثمان هم الـــصحابة أنفـــسهم وعلـــى رأسهم على وطلحة والزبير وبن عمر وغيرهما "[17]" .

والفتنة كانت سببها المؤامرات التى قادها تلك الشراذم بعد أن انتشرت أموال الفتوحـــات وعاش الناس فى رغد ، فاستغل مروجوا الفتنة غوغاء العوام فى تأليبهم على الخليفة تطبيقا للنظرية الواقعية وهى أن انتشار المال يكون سببا فى البطر وعدم الرضا ، "[18]" .

[17] ـــ المرجع السابق ـــ خلافة عثمان رضي الله عنه

وقد روى عن عروة بن الزبير قال :

(أدركت زمن عثمان وما من نفس مسلمة إلا ولها حق فى مال الله)"[19]"

* ومن المطاعن الساذجة أيضا أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان ضعيف الشخصية ، وهذا قول استغل المرجون له ما اشتهر عن حياء عثمان رضي الله عنه و لم يفرق هؤلاء بين خلق الحياء وبين الضعف .

والثابت من قراءة تاريخ خلافة عثمان رضي الله عنه أنه كان لا يقل حزما وقدرة عن عمر بن الخطاب وأول مظاهر حزمه نجاحه فى الوقوف أمام انقلاب الـــروم والفـــرس علـــى الولايات التى فتحها المسلمون ، فثارت بعض ولايات العراق وكذلك عاد الـــروم مـــرة أخرى لمصر بعد أن أخرجهم عمرو بن العاص وتعرضت الخلافة لهزة مشابهة لتلك الـــتى حدثت فى عهد أبي بكر

فقام عثمان رضي الله عنه بتجهيز الجيوش ووجهها لنقاط التمرد وقضي عليهـــا جميعـــا وأحكم قبضة الخلافة على أراضيها .

و لم يكتف بذلك بل قام بإنشاء أول أسطول بحري للمسلمين رغم أنهم كعـــرب كـــانوا منعدمى الخبرة فى قتال البحر وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالرغم من قوة قلبه لم يتخذ قرار تكوين أسطول بحري للمسلمين وغزو الروم من البحر لخوفه من هلاك الجيوش أمام خبرة الروم .

فجاء عثمان وبشجاعة القائد كون الأســـطول ووجهـــه إلى المعركـــة الـــشهيرة (ذات الصوارى) وكان انتصار المسلمين ساحقا بكل المقاييس ،كما أنه كان حازما فى حـــسابه للولاة والعمال على عكس ما نشره الأفاكون فقد بلغه أن الوليد بن عقبة وهو أحد ولاته شرب الخمر وجاء للشهادة شاهدين فعزله عثمان على الفور وأقام عليه الحد بـــلا تـــردد رغم أنه من أقربائه إلا أنه لم يحابيه فى دين الله ، بالرغم من أن تهمة شربه للخمر لم تثبت

---

[18] عصر الخلافة الراشدة ـــ د. أكرم ضياء العمرى

[19] ـــ مصنف بن أبي شيبة ـــ الجزء الثالث ـــ الموسوعة الشاملة

أصلا بشاهدين عدل لأن الشاهدين كانا من المطعون فيهما من أهل الكوفة كما بين ذلك القاضي أبو بكر بن العربي فى كتابه الهام (العواصم من القواصم) "[20]".

* ومن أشهر ما اشتهر عن عثمان رضي الله عنه هو موضوع توليته لأقاربه ، ورددته الألسنة بغير تحقيق للأمر ، فإذا نظرنا إلى أقارب عثمان رضي الله عنه فهم :

معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي سرح والوليد بن عقبة وسعيد بن زيد وعبد الله بن عامر

أما بقية ولاة عثمان فهم من باقي الصحابة وبلغ عددهم 17 واليا ، بينما أقاربه خمسة ، فكيف يمكن أن نعمم الإتهام عليه رضي الله عنه ومن تولى من أقاربه خمسة فى مقابل 17 واليا من غيرهم .

وحتى هؤلاء الذين ولاهم عثمان رضي الله عنه لم يحابيهم لأنه ببساطة وضعهم فى نفس الأماكن التى وضع فيها النبي عليه الصلاة والسلام وعمر وأبو بكر رضي الله عنهما أمثالهم من بنى أمية لأنهم أهل عزة وكرم وشرف وسؤدد و لم يتول منهم أحد الإمارة إلا أدى حقها ، فلم يبتدع شيئا جديدا وهؤلاء كانوا أكفاء للولاية وسبقه إلى ذلك من سبقه للحكم "[21]"

هذا فضلا على أن هؤلاء الخمسة لم يولهم عثمان فى وقت واحد بل ولاهم على مراحل وعزل منهم الوليد بن عقبة كما تقدم وعندما توفي عثمان لم يتبق من أقاربه أحد فى سدة الإمارة إلا ثلاثة فقط وهم معاوية وعبد الله بن سعد وعبد الله بن عامر .

والثلاثة قاموا بواجب الإمارة على أحق ما يكون ، فمعاوية رضي الله استقر له أمر الشام رغم مجاورته للروم وعبد الله بن سعد هو الذى فتح إفريقية .

بالإضافة لما هو أهم وهو أن على بن أبي طالب ولى أقاربه أيضا لأنهم استحقوا التولية ، و لم يكن بين ولاة على رضي الله عنه من هو أفضل من ولاة عثمان إلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وكما سبق أن بينا أن هذا الجيل لم تكن فيهم المحاباة والدليل على ذلك ما فعله عثمان مع الوليد بن عقبة رغم أنه من أقاربه

---

[20] ـــ العواصم من القواصم ـــ القاضي أبو بكر بن العربي

[21] حقبة من التاريخ ـــ خلافة عثمان رضي الله عنه ـــــ عثمان الخميس ـــ

أما فضل عثمان بن عفان ففيه من السيرة العطرة ما يشرف أى أمة تنتسب إليها مثل الشخصية الفريدة ، فيكفيه شرفا قول النبي عليه الصلاة والسلام أن عثمان تستحي منه الملائكة كما ثبت فى الصحيح ، ويكفيه أنه كان زوج ابنتى النبي عليه الصلاة والسلام رقية وأم كلثوم وهذا نقطة تشير إلى مكانته الفريدة حتى يرتضيه النبي عليه السلام زوجا لبنتين من بناته

وأعز الله به الإسلام سواء فى بداية الدعوة أو فى المدينة أو بعد خلافته ، ففي خلافته أشرقت البلاد بالرغد وانتشر الإسلام إلى مزيد من أقطار الأرض ، وقبل الخلافة كان مناصرا للنبي عليه السلام بنفسه وماله وكان هو الذى اشتري للمسلمين بئر رؤمة التى كانت ملكا ليهودى بالمدينة استخدمها للضغط على المسلمين وابتزازهم فاشتري عثمان منه نصف البئر ثم اشتراه كاملة بعد ذلك ووهبها للمسلمين بلا أجر .

وفى أحد أعوام المجاعة بالمدينة أقبلت إحدى قوافله التجارية للمدينة تسد البصر ، فهرع إليه التجار من كل ناحية يرغبون فى شراء بضائعه فأبي بيعها ووزعها كاملة فى سبيل الله وأعلن أنه لا يتاجر فى القوت والناس على جوع وفاقة ، وفى غزوة العسرة تلك الغزوة الشريفة التى قال الله عنها فى كتابه :

[لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] {التوبة:117}

لما حفلت به تلك الغزوة من مشقة فى التجهيز ، فجاء عثمان رضي الله عنه فجهز جيش العسرة كله من خالص ماله وانبهر به النبي عليه الصلاة والسلام فقال :

(ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم)

كما شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة وبشره بها على بلوى تصيبه وهى الفتنة ، وبسبب هذه البشارة وهذا العهد امتنع عثمان رضي الله عنه من فض الثوار والغوغاء بالقوة وأمر أصحابه بترك السلاح وفدى الأمة بنفسه رضي الله عنه و لم يقبل أن يقتل بسببه صحابي واحد فى الدفاع عنه .

رابعا : تولى الإمام علىّ فى ظل ظروف الفتنة القائمة وكان أهم ما يشغله أن يطهر المدينة من الشراذم التى شاركت فى القتل ثم يبدأ فى البحث والتحقيق عن قتلته للقصاص ، لا

سيما أن الفاعلين كانوا مجهولين بأعيانهم وكل ما عرفه الإمام علىّ أنهم شراذم من البصرة والكوفة ولكن الرأس المدبر لم يكن واضحا .

وأرسل الإمام علىّ بولاته للأمصار طامعا أن تستتب الأمور أولا قبل الشروع فى تحقيق القصاص ولكن طلحة والزبير طالباه بسرعة القصاص خوفا من أن يتكرر انفلات الأمور ويفلت الجناة بفعلهم أو يحتموا بقبائلهم كما حدث فعلا بعد ذلك .

فرفض الإمام علىّ التعجل لا سيما وأنه كان يفتقد القوة العسكرية اللازمة لتطهير المدينة ، فاستأذن طلحة والزبير رضي الله عنهما للخروج إلى مكة وخرجا فعلا وهما ينويان تشكيل جيش يأخذون به القصاص من الذين فروا بفعلتهم إلى الكوفة والبصرة وهناك التقوا مع أم المؤمنين عائشة التى وافقتهم الرأى على ضرورة الأخذ بثأر الخليفة الشهيد بعد أن تزلزل كيانهم من الفعل الشنيع ، وبعد أن زج المنافقون بأسماء الصحابة فى مؤامرة تشويه الخليفة الراشد فزوروا خطابات بأسماء على وطلحة والزبير وعائشة تدعو الناس إلى قتال عثمان ، وهذا مما زاد من غضب الصحابة رضي الله عنهم ، وخرج جيش طلحة والزبير والسيدة عائشة إلى العراق بهدف إدراك حق عثمان من الذين فروا ولم ينتبهوا إلى أن رءوس الفتنة لا زالوا مندسين بالمدينة وفى قلب الجيش الذى شرع الإمام علىّ فى تشكيله ، ووردت أنباء جيش طلحة والزبير للإمام علىّ فشد الرحال إلى العراق ليري الأمر وأدركهم هناك بعد أن خاضوا جولة أو جولتين وتفهم الطرفان الموقف واتفقا على اتحاد الجيشين والعمل تحت قيادة واحدة .

ومن أعظم الإفك ما رددته الروايات المألوفة من أصحاب الفتن من أن جيش أم المؤمنين خرج بنية الخروج على الإمام علىّ ونقض بيعته ، وكيف يكون ذلك وقد خرج الجيش إلى العراق أساسا ، بينما الإمام على فى المدينة !

وبالإضافة لتلك الروايات زاد الرواة إشاعة شهيرة وهى أن طلحة والزبير شهدا شهادة زور أمام أم المؤمنين عند ماء الحوأب وهذا من الإفك المبين الذى لا أصل له فى نقل ولا عقل "[22]" .

[22] ـــ المصدر السابق

ونعود للقصة الحقيقية حيث التقت أطراف التفاوض لتسوية الأمر وهـــو مـــا تم فعـــلا وكما يقول بن كثير (بات المؤمنون بخير ليلة وبات المنافقون بشر ليلة) "[23]"

فعندما بلغت أنباء التفاهم بين الطرفين آذان عبد الله بن سبأ وزمرته أدركوا على الفور أن هذا التصالح سيمنح الفرصة للإمام علىّ فى كشف الأمر واستخراج القتلة مـــن جيـــشه بسهولة بعد استقرار الأمور ، فما ضيعوا وقتا ، وعملت كتيبة منهم على اقتحام جـــيش طلحة والزبير ليلا وهم نيام وأعملوا فيهم طعنا وقتلا ونادوا بأن جيش علىّ غدر بهم وفى جيش الإمام علىّ فى نفس التوقيت فعلت كتيبة أخرى المثل واشتعلت المعركة على حين غرة

[23] ـــ البداية والنهاية ـــ الجزء السابع ـــ الإمام بن كثير

وهذه كل الروايات المثبتة فى شأن وقعة الجمل من كتب التاريخ المحققة

* يقول الباقلاني (التمهيد فى الرد على الملحدة ــ 223) :

وقال جلة من أهل العلم إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة، وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به، لأن الأمر كان قد انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا ويبدءوا بالحرب سحرة في المعسكرين .

ويختلطوا ويصيح الفريق الذي في عسكر علي :غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الآخر الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم مدافعاً لمكروه عن نفسه، ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل وبه نقول ..

* ويقول ابن العربي فى (العواصم من القواصم ص159) :

وقدم علي البصرة وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر بينهم الحرب، وكثرت الغوغاء على البغواء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف

* يقول ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل 4/238-239)

وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة – رضي الله عنهم – ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها... فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته ... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا و لم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإغارة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم فرُدِعُوا حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال، فاختلط

الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان، لعنهم الله لا يفترون من شب الحرب وإضرامها

* ويقول ابن كثير (البداية والنهاية 5/7) واصفاً الليلة التي اصطلح فيها الفريقان من الصحابة:

وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس .

* ويقول ابن أبي العز الحنفي ــ شرح العقيدة الطحاوية(ص723) :

فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين ، أما القول في أنها خرجت من بيتها،وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله تعالى:

{وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}

فالرد عليه : أن عائشة –رضي الله عنها– إنما خرجت للصلح بين المسلمين، ولجمع كلمتهم، ولما كانت ترجو من أن يرفع الله بها الخلاف بين المسلمين لمكانتها عندهم، و لم يكن هذا رأيها وحدها ،بل كان رأي بعض من كان حولها من الصحابة الذين أشاروا عليها بذلك

يقول ابن العربي:

(وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله:

(لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس)

وبقوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين أقتتلوا فأصلحوا بينهما)

هذا والآية نفسها ترد على من اتهم أحد الطرفين بالخروج عن الإسلام أو الفسق حيث أن نص الآية يقول :{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات:9]

أى أن القتال بين طوائف المسلمين لا ينفي عنهما الإيمان فضلا عن الإسلام وهذا أمر منطقي فى حالة اقتتال طائفتين تحسب كل منهما باجتهاد المخلص أنها على الحق

وقد صرحت عائشة نفسها بأن هذا هو سبب خروجها، كما ثبت ذلك عنها في أكثر من مناسبة وفي غير ما رواية.

فروى الطبري أن عثمان بن حنيف – رضي الله عنه:

(وهو والي البصرة من قبل علي بن أبي طالب أرسل إلى عائشة –رضي الله عنها– عند قدومها البصرة من يسألها عن سبب قدومها، فقالت: (والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطّي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت :

{لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس}

فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره) انتهى ..

وهكذا ومن خلال اتفاق أهل التحقيق نفهم أن القتال شجر على غير إرادة الطرفين فيه وعبثا حاول عليّ وطلحة والزبير تدارك الأمور فلم يفلحوا حتى انتهت المعركة بسقوط عشرات القتلى بين الفريقين وسيطر الإمام عليّ على الأمور بصعوبة وقام بتأمين أم المؤمنين عائشة وردها سالمة إلى المدينة المنورة ثم التفت إلى جيشه واتخذ الكوفة عاصمة له فى أكبر خطأ ارتكبه الإمام وندم عليه فيما بعد .

لم يكن جيشه يحوى من الصحابة الكثير بل كانت الغالبية العظمى منه من أهل الكوفة وفيهم من شارك بنفسه فى قتل عثمان رضي الله عنه وهؤلاء مثلوا صداعا فى رأس الإمام علىّ لكونهم أهل نفاق فضلا على أن رءوس الفتنة بينهم تقوم بواجبها على أكمل وجه فعاش الإمام علىّ بينهم أسوأ سنوات عمره ، وقد تشوهت وقائع معركة الجمل وحملت اتهامات عديدة لأم المؤمنين وطلحة والزبير ولها من روايات الشيعة الباطلة .

وثبتت أقوال الإمام على بحق الكوفة وأهلها وسبه لهم لعصيانهم له وخذلانهم لأمره وهم يزعمون أنهم شيعته وأحبابه .

فى تلك الفترة بالذات بدأت جذور فكرة التشيع الفارسي العقدى حيث أعلن بن سبأ أن الإمام علىّ كانت له الخلافة حصرا بعد النبي عليه الصلاة والسلام وأنه وصيه كما كان يوشع بن نون وصي موسي عليه السلام ؛ كما كان بن سبأ أول من أظهر السب والطعن بحق أبي بكر وعمر ونشره بين أهل الكوفة فبلغ هذا الكلام مسامع الإمام علىّ فصعد المنبر وهو يقبض على لحيته ودموعه تسيل على خديه وتبللها وقال خطبته الشهيرة التى بدايته :

(ما بال أقوام تتناول حبيبا رسول الله عليه وسلم وصاحباه ورجلى الإسلام)

كما ثبت عنه من ثمانين وجها أنه قال على المنبر:

(من يفضلنى على الشيخين جلدته حد المفترى)

وهم بقتل عبد الله بن سبأ لولا أن أقنعه بعض أصحابه أنه من قال ذلك عن طيش فتركه ، فذهب هذا الملعون ينشر أول أقوال عقيدة التشيع وهى عقيدة الإمامة والوصاية بالوراثة على الدين وأن الأئمة محددين نصا وأنهم معصومون إلى غير ذلك من الأفكار التى وجدت فى البيئة الفارسية مرتعا كبيرا .

ثم دخل الإمام علىّ فى أمر معاوية رضي الله عنهما ، وهى المسألة التى حظيت بأكبر قدر من التشويه على مدى التاريخ الإسلامى حيث حفلت بالأكاذيب التى حققها المحدثون وبينوها

وأصل الخلاف بينهم لم يكن على الخلافة من قريب أو بعيد و لم يجرؤ معاوية طيلة حياة الإمام علىّ أن يطلب لنفسه الخلافة بل وضع شرط القصاص أمام قبوله بيعة الإمام علىّ ورفض الإمام على هذا الشرط وأصر على أن يبايعه أولا ثم يطلب القصاص باعتباره ولى

دم عثمان ، وكانت وجهة نظر واجتهاد الإمام على هى الصواب وكان معاوية أيضا مجتهدا فيما ذهب إليه وإن لم يكن الحق معه كما كان مع علىّ ، والقتال بينهما احتوته الآية الكريمة :

{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }

فليس معنى وقوع القتال بين جبهتين أن أحدهما فاسق أو كافر بل جعل الله الوصف للفرقتين هو وصف المؤمنين والبغي المذكور فى الآية لا يعنى التكفير من قريب أو بعيد ، يدل على ذلك أيضا ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام عن الإمام الحسن الذى صالح معاوية فيما بعد فبشر النبي عليه السلام بذلك وقال :

(إن ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)

وقال النبي عليه الصلاة والسلام عن الفئتين أيضا :

(تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق)

والفرقة المارقة المقصودة هى الخوارج الذين خرجوا على الإمام علىّ فى حرب صفين فقاتلهم علىّ فى معركة النهراون وهزمهم والنبي عليه الصلاة قال أن الذى يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق، معنى هذا أن كلا الطائفتين على ومعاوية كان يجتهدان لبلوغ الحق لا الحكم والدنيا وأن اجتهادهما مأجور والأقرب للصواب هو جانب الإمام علىّ "[24]" .

فأول التزوير والتلفيق :

كان فى اتهام معاوية أنه سعي للحكم وهو ما يثبت من أى وجه وفى أى رواية أنه سمى نفسه أميرا فى مواجهة على بن أبي طالب بل ثبت العكس وهو إقراره بفضله ولكنه طلب دماء عثمان أولا.

وثانى أوجه التزوير :

تمثل فى أن رواة الشيعة أوضحوا أن الطرفين كانا يلعنان بعضهما وهو كذب وزور مفضوح حيث رفض الإمام علىّ سب الخوارج أنفسهم رغم ظهور فسقهم فكيف بأهل

[24] ـــ حقبة من التاريخ ـــ خلافة الإمام على رضي الله عنه ـــ عثمان الخميس

الشام ، وكان يراهم متأولين وينهى أصحابه وجيشه عن سبهم وكان يقول (قولوا اللهم أصلح ذات بيننا وبينهم) ـــ وهو ثابت فى مراجع الشيعة كنهج البلاغة ـــ

وثالثة الأسافي فى التزوير :

هى انتشار قصة التحكيم المكذوبة الشهيرة التى تداولتها الألسن وهى من رواية لوط بن يحيي الكذاب المشهور وتحمل طعنا فى معاوية وأبي موسي الأشعري وعمرو بن العاص وما جرى منها فى الواقع شيئا ، فقد نادى معاوية فريق علىّ بالاحتكام لكتاب الله فقبل علىّ على الفور و لم يجادل كما صورته كتب الشيعة وأرسل لهم أبا موسي ومعه عبد الله بن عباس وتقابل عن جبهة الشام معهم عمرو بن العاص و لم يستغرق النقاش طويلا حتى اتفق الطرفان عمرو وأبو موسي على أن يكون أمر قتلة عثمان ـــ لا أمر الخلافة ـــ فى يد جبهة مستقلة من الصحابة الذين لم يشاركوا فى القتال .

وهذه هى الرواية الصحيحة التى رواها الدارقطنى ونقلها عنه القاضي أبو بكر بن العربي فى (العواصم من القواصم) وبيّن مدى الافتراء فى الرواية الباطلة للتحكيم والتى قالوا فيها أن عمرو خدع أبا موسي وأنه كان مغفلا وأنهما كان يناقشان أمر الخلافة إلى غير ذلك من الأكاذيب المشتهرة "[25]".

واستشهد الإمام علىّ بيد عبد الرحمن بن ملجم الخارجى وتولى بعده الإمام الحسن الذى كان حاضرا مع أبيه تلك المشاهد ولقي من أهل الكوفة الإيذاء بما فيه الكفاية فرفض القتال وأرسل لمعاوية للصلح ، ولما علم الشيعة من حوله بذلك طعنوه فى فخذه وأهانوه وسموه مذل المؤمنين فصمم على البيعة لمعاوية وهو ما تم بالفعل بعد ذلك لتجتمع الأمة فى عام الجماعة على البيعة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم جميعا "[26]" .

---

[25] ـــ مرويات أبي مخنف فى تاريخ الطبري ـــ د. يحيي إبراهيم ـــ جامعة الإمام

[26] ـــ الشيعة وصكوك الغفران ـــ الشيخ محمد مال الله الخالدى

وقد راجت عدة أكاذيب حول موقعة صفين وبحق الصحابيين الجليلين عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان منها :

* أن عمرو بن العاص تحالف مع معاوية فى طلب الخلافة مقابل ولاية مصر ، وهذا من الكذب الغير سائغ لأن أصل مطالبة معاوية بالخلافة ما ثبت من أى وجه فكيف يتفق معاوية مع عمرو على شيئ لم يتحقق أصلا ولا كان معاوية طالبا إياه فى حياة الإمام على أبدا .

وعن أبي مسلم الخولانى أنه دخل على معاوية فقال له :

(أنت تنازع عليا أأنت مثله)

فقال معاوية :

(لا والله إنى لأعلم أن عليا أحق وأفضل بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما وأنا بن عمه وأنا أطلب بدمه فاتوا عليا فقولوا له أن يدفع لى قتلة عثمان وأسلم إليه الأمور)

وتكمل الرواية (فأتوا عليا فكلموه فأبي عليهم ــ أى رفض عرض معاوية ــ و لم يدفع القتلة) "[27]"

هذا مع ملحوظة أن معاوية لم يبدأ بقتال أبدا و لم يخرج على الإمام علىّ بسيفه ولكن رهن البيعة بتنفيذ مطلب القصاص وهو حق مشروع كفله الله تعالى لولى الدم فى قوله تعالى [وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا] {الإسراء:33}

أى أن لولى الدم سلطان فى مطالبته بحق القتيل ، وهذا ثابت بحق معاوية و لم يجادل به أحد أما إن قيل أن معاوية ليس هو ولى دم عثمان على اعتبار أن أبان بن عثمان على قيد الحياة وهو أحق بدم أبيه فيرد عليه بأن التشريع الإسلامى فى القصاص جعل ولاية الدم رهنا بالقدرة لا بقرب القرابة ، وبالتعبير الدارج أن ولى الدم هو كبير العائلة التى ينتمى إليها القتيل وهذا باتفاق الفقهاء كما نقل بن قدامه وغيره .

---

[27] ــ رواها الذهبي فى تاريخ الإسلام بإسناد صحيح

أما بشأن عمرو بن العاص رضي الله عنه فهو أحد المهاجرين وأسلم طوعا وينسحب عليه من الفضائل ما ينسحب على سائر المهاجرين ، وقد مدحه النبي عليه الصلاة والسلام فى قوله (نعم المال الصالح للعبد الصالح)

وقال فيه وفي أخيه سعيد بن العاص (ابنا العاص مؤمنان)

فهذا شهادة المعصوم عليه الصلاة والسلام بالإيمان والصحبة والفضل لعمرو بن العاص فاتح الشام ومصر ، وتلك الشهادة لا تنقضها روايات الكذابين التى ادعت أنه باع دينه بدنياه

ومن المختلقات والكذب أيضا أن على بن أبي طالب طلب من معاوية المبارزة فأيهما قتل صاحبه صارت الخلافة إليه ، وهذا طعن فى على رضي الله عنه أنه ينازع بالقتال على الخلافة ، فواضعو هذه الروايات من الزنادقة لم ينتبهوا أنهم يسيئون إلى على بأكثر مما يسيئون لمعاوية حيث جعلوه فى معرض المنافسة الدنيوية على الخلافة ، وتكمل الرواية المختلقة أن عمرو بن العاص هو الذى برز للإمام على وقاتله الإمام وهزمه فلما أحس عمرو بالهزيمة كشف عن عورته أمام على ليتركه !

وهذا كله كذب صراح ..

وتلك الروايات تناسب أخلاق الأعاجم الذين وضعوا أمثال تلك الأساطير دون أن يدركوا طبيعة المجتمع العربي والذى كان فى الجاهلية فضلا على الإسلام يموت دون كرامته ولا يفقدها

فلما جاء الإسلام تمم تلك الأخلاق والمكارم ، ولو جاز لنا أن نتصور حدوث مثل هذا الفعل من محارب عتيد مثل عمرو بن العاص لكنا بذلك نطعن فى شهادة النبي عليه الصلاة والسلام فيه ، بالإضافة إلى أن هذا الفعل ما كان ليفعله عبد رقيق وليس رجل بمروءة عمرو بن العاص وكرامته واعتزازه ، هذا فضلا على أن الإمام على لم يطلب مثل هذه المبارزة من الأساس وهى من مختلقات أبي مخنف .

* من المختلقات أيضا أن معاوية بن أبي سفيان أمر بسب علىّ بن أبي طالب على المنابر وزادوا فى الرواية أن بنى أمية ظلوا مدة خلافتهم يسبون عليا رضي الله عنه سبعين عاما حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأبدل ذلك الأمر .

وهذا من ناحية السند ساقط لا أصل له وأورده الشيعي المعروف أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى ، وهو كتاب مسامرات لا كتاب تاريخ يعتد به فضلا علـــى خلـــوه مـــن الأسانيد المتصلة أو الصحيحة بالإضافة لشيعية صاحبه .

أما من ناحية المتن ،

فمشكلة تلك الروايات أنها تتفق جميعا فى ضحالة فكر من ألفها ، فالذى ينظر إلى صحاح السنة يجد فضائل على بن أبي طالب رضي الله عنه ملئ السمع والبصر وهى مكتوبة أو مروية فى العهد الأموى فكيف يسبونه على المنابر ويشجعون العلماء على إبراز تلك المرويات

هذا فضلا على أن الطاعنين بتلك الروايات يتجاهلون أن الإمام الحسن بايع معاوية بالخلافة راضيا وعهد إليه معاوية بولاية العهد فكيف جاز للحسن أن يسلم أمر المسلمين لرجل غير صالح فضلا على أنه يسب أباه ؟! وثبت حتى من كتب الشيعة أنفسهم أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا يفدان على معاوية كل عام فيستقبلهما بالإعزاز والإكرام ، فكيف يستقيم هذا مع أمره بسب أبيهما ،"[28]" ثم أين بنو هاشم وأين الصحابة من هذا الفعل وهم الجيل الذين امتدحهم الله تعالى لأنهم يأمرون بالمعروف وينكرون المنكر !

إنما الثابت الصحيح أن السب كان من جهة الخوارج ومن جهة النواصب الذين تخلفت عنهم الفتنة ، أما ما يستشهد به الشيعة اليوم من رواية صحيح مسلم أن معاوية أمر سعد بن أبي وقاص بسب علىّ ، فهذا كذب والرواية فى صحيح مسلم لا تحمل أمرا من معاوية بالسب بل تحمل استفسارا حيث يقول معاوية لسعد : (ما منعك أن تسب أبا تراب)

فأجابه سعد بترديد فضائل على بن أبي طالب وانتهى الحوار إلى هذا الحد فالأمر كان استفهاما من معاوية عن إنكار سعد لسب السابين فجاء جوابه بالسبب ، تماما كما نسأل نحن فى عصرنا الحالى أى داخل جديد فى الإسلام : (ما الذى دفعك للإسلام ؟)

فالغرض معرفة السبب وإلا كان هذا السؤال بناء على مقاييس الرافضة يحمل أمرا للمهتدى بالردة عن الإسلام !

---

[28] ـــ الشيعة وآل البيت ـــ العلامة إحسان إلهى ظهير

* ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه صحابي ثابت الصحبة ويثبت بحقه من الفضائل ما يثبت لسائر لصحابة فضلا على أنه كان من كتبة الوحى بين يدى النبي عليه الصلاة والسلام وصح عنه أنه قال عن معاوية (اللهم اجعله هاديا واهد به) "[29]".

وقد حكم بلاد المسلمين عشرين عاما تمر كالبلسم فى تاريخ الإسلام ازدادت فيه الفتوحات واستقر أمر الدولة ، وقد قيل لعبد الله بن المبارك (من أفضل معاوية أم عمر بن العزيز)

فقال بن المبارك (تراب فى منخرى معاوية مع رسول الله عليه الصلاة والسلام خير من عمر بن عبد العزيز)

وهذا لما فى فضل الصحبة من مكرمة جعلها الله سبحانه وتعالى حقا لهذا الجيل الفريد

أما أخطاؤه ، فكان منها أن أخذ البيعة ليزيد من بعده وكان يظنه صالحا وكفؤا للأمر ، ولكنه ما أجبر مخلوقا على البيعة لولده ، بل عرض البيعة له فقبلها من قبلها ورفضها من رفضها وكان الرافضون أقل فانعقدت ليزيد ؛ ويزيد كان فى حياة أبيه يختلف عن فترة حكمه كما ثبت من شهادة محمد بن على بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ، حيث كان يظهر التقوى والصلاح وله سداد رأى ، بيد أنه بعد توليه الخلافة ظهر منه نزوعه للدنيا ، وهو من ولاة الأمر الفاسدين فى الخلافة ، بعكس أبيه الذى ثبت فضله من أكثر من وجه ، فهذه هى قصة الفتنة من وقائع مصادرها المحققة ، بعيدا عن روايات التزييف المعهودة ، وموقف أهل السنة والجماعة من خلاف على ومعاوية رضي الله عنهما هو الموقف الواضح أن ما جرى بينهما قتال بين طائفتين من المؤمنين ، كان الحق فيه لعلى بن أبي طالب ومعاوية كان مخطئا فى اجتهاده .

وأصل عقيدة السنة أيضا هو السكوت عما شجر بين الصحابة ، ووضع ما بدر منهم فى الفتنة من أخطاء موضعها الصحيح ، فنحن لا ندعى فيهم العصمة لكن بالمقابل نرفض تلويث هذا الجيل بروايات مختلقة تخالف الواقع وتخالف صريح القرآن ، وولايته ضمن الفترة التى امتدحها النبي عليه الصلاة والسلام فى حكم المسلمين حيث كان معاوية أول ملوك الإسلام ، فالحديث الصحيح يقول :

---

[29] ـــ فضائل معاوية ـــ الشيخ الشنقيطى

(تكون الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا ثم تكون حكما وجبرية)

فالممدوح هنا كان الخلافة الراشدة والملك والذم ألحق فقط بالحكم التالى على ذلك .

من تلك الأحداث نستنتج أن التشيع كمفهوم سياسي كان لا علاقة له بعقيدة أو بدين بل كان اتخاذ جانب الإمام علىّ ، وهذا الإتجاه تحول أولا إلى اتجاه فقهى ـــ لا عقدى ـــ أنتج فرقة الزيدية وهى القائمة اليوم فى اليمن والتى تتبع فقه الإمام زيد بن علىّ ولا تختلف عن أهل السنة إلا فى أنها تقدم عليا فى الفضل على أبي بكر وعمر ولكنها تقول بشرعية وفضل الخلفاء

وفرقة الزيدية لا يعتبر تسميتها بالفرقة أنها شذت فى شيئ من العقائد بل هم فى المجمل من أهل السنة ولهم فى الفقه مؤلفات خاصة بهم تخضع لميزان التحقيق العلمى سواء فى فقه الإمام زيد بن علىّ أو المسند المنسوب إليه ؛ فالزيدية البترية ليست موضع خلاف هنا ولا تخضع للقالب الذى احتوى بقية فرق الشيعة عدا الجارودية من الزيدية والتى خرجت على الزيدية وتشبهت بعقائد الرافضة ، أما فرق الشيعة التى جمعتها مظلة العقائد المبتدعة فقد ظهرت من خلال اتخاذ جانب الإمام علىّ اندس المتآمرون من السبئية ومن تابعهم من الفرس الذين توطنوا الكوفة منذ إنشائها وكونوا فيما بينهم تلك العقيدة الباطلة القائلة بالإمامة والتى تطورت خلال الأزمنة و لم تثبت عند حال ، وكانت السبئية هى أول فرق الشيعة العقدية ظهورا تبعتها بعد ذلك باقي الفرق .

العقائد العامة لفرق الشيعة

تتفق فرق الشيعة جميعا فى القول بوجوب الإمامة ، والإمامة التى يعتقدون بها لا علاقة لها بالمسمى الذى نعرفه فى لغة العرب بل هى مسمى وثقافة يهودية ممزوجة بالعبادات الفارسية قائمة على تقديس بيت الدين واعتبار بيت الدين والملك أمرا واحدا ، وأول من أظهرها عبد الله بن سبأ الذى سيأتى ذكره بالتفصيل ، وقالوا بأن الإمامة أصل من أصول الدين لا يكون الدين كاملا إلا بها وهم أئمة منصوص عليهم من النبي عليه السلام ومعصومون ولهم القدرة على نسخ القرآن ونسخ السنة إلى غير تلك الأقوال الشنيعة التى تخالف صريح القرآن ، ونجم على القول بالإمامة وفق هذا المفهوم تكفير الشيعة لبقية المخالفين لها من المسلمين ، وهم فى أصولهم يختلفون عن دين الإسلام حيث شرعوا فى الدين ما لم يترل به سلطانا واتسموا بالغلو الفاحش فى أسماء أئمتهم الذين اختلفوا باختلاف الفرق ، ما دل على أن القول بوجود نص ووصية مسبقة على أسماء الأئمة هى دعوى باطلة لا أصل لها لأن الشيعة رغم قلتهم واتخاذهم سبيل الشذوذ عن الأمة وإخفاء عقائدهم الناس إلا أنهم اختلفوا على سبعين فرقة تقريبا وكل فرقة منهم تكفر وتلعن صاحبتها وتعتبر نفسها الفرقة الناجية .

وسنتعرض فى البحث لأهم الفرق القائمة اليوم ونهمل الفرق المندثرة للتركيز على أصل موضوع البحث ، وهى الفرق التي اتخذت صحابة النبي عليه الصلاة والسلام وأمهات المؤمنين غرضا من بعده ..

وأكبر وأهم الفرق التى لا زالت لها جذور اليوم هى الفرقة الإثناعشرية التى تفرعت عن الفرقة الإمامية وقالت أن عدد الأئمة 12إماما يبدءون بعلى بن أبي طالب وينتهون بالمهدى الغائب المنتظر .

و لم تتبق من فرق الشيعة اليوم إلا هم وبعض شراذم الفرقة النصيرية وهى واحدة من الفرق الغير معدودة من فرق الإسلام تقوم عقيدتها على تأليه الإمام علىّ ، وهناك أيضا بعض الإسماعيلية وهم الذين توقفوا فى الإمامة على إسماعيل بن جعفر الصادق وتفرعوا عن الفرقة الإمامية أيضا وهؤلاء ينتمى إليهم القرامطة الذين أسسوا دولتهم فى البحرين وسلبوا الحجر الأسود من الكعبة وقتلوا الحجاج ودفنوهم فى زمزم وظل الحجر الأسود معهم فى

موطنهم قرابة سبعين عاما ، وينتمى إليهم كذلك أفراد ومؤسسي الدولة العبيدية التى قامت فى المغرب وادعت أنها تنتمى إلى الفاطميين وهم من أصل يهودى ونجحوا فى الاستيلاء على مصر وسماها المؤرخون الدولة الخبيثة "[30]" .

لما فعلوه بمصر منذ فتحها لهم جوهر الصقلي فنشروا سب وتكفير الصحابة على جدران المساجد وقتلوا خلقا كثيرا من كبار علماء الأمة ونشروا الإلحاد والكفر حتى اقتلعهم صلاح الدين بعد عدة معارك بينهم وبين الشعب الذى ثار عليهم ، فطهر صلاح الدين أرض مصر والشام منهم ونجحت فرقة بسيطة فى الفرار وهم الدروز الذين يستوطنون لبنان الآن ويعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله أشهر خلفاء العبيديين فى مصر

ومن آثارها أنهم أسسوا الجامع الأزهر كمعهد للعلوم الشيعية نجح المصريون فى أن يجعلوه منارة للسنة منذ تاريخ طردهم للعبيديين وحتى الوقت الحالى .

الفرقة الاثناعشرية ومعتقداتها :

لم تكن تلك الفرقة موجودة بهذا الاسم قبل تاريخ 255 هجرية ، التاريخ الذى اختلف فيه الشيعة الإمامية بعد أن توفي الحسن العسكري آخر من يصفونه بالإمامة و لم ينجب .، فافترقوا أربعة عشر فرقة كانت منهم الفرقة الاثناعشرية التى تدعى اليوم أنها كانت قائمة منذ النبي عليه الصلاة والسلام !

والذى يتأمل كتب الفرق التى سجلها المؤرخون قبل هذا التاريخ لن يجد للاثناعشرية أثرا ولا عينا حيث أنهم كانوا جميعا تحت لواء الفرقة الإمامية حتى اختلفوا فى عدم وجود إمام بعد الحسن العسكري ، فقال قائل منهم أن الحسن العسكري أنجب ولدا فى السر وهو المهدى الغائب الذى سيعود فى آخر الزمان وهو غائب من اثنى عشر قرنا تقريبا .

ومعتقداتها تطورت عبر الزمن حيث اقتصرت فى البداية على القول بالإمامة وما ارتبط بها من أفكار وتكفير سائر المسلمين وعلى رأسهم الصحابة عدا سبعة أو خمسة أو ثلاثة منهم حسب اختلاف الروايات ، وكان أكبر تطور عبرت به الاثناعشرية فى مجال العقائد هو

[30] ـــ تاريخ الخلفاء للسيوطى ـــ فصل الدولة الخبيثة العبيدية

عهد الدولة الصفوية التى نشرت بالقوة المذهب الشيعي على إيران السنية وقتلوا من أهلها ما يتجاوز مائة ألف نفس رفضوا هذا المعتقد .

وكان كبير الطائفة عالم اسمه باقر المجلسي يعتبرونه الشيخ الأعظم فى مجالهم وتعتبر عقائدهم الحالية هى دين المجلسي الذى ألف لهم فى العقيدة بعض الأفكار الكفرية التى ساهمت فى زيادتهم ضلالا على ضلال"[31]".

نخرج من هذا إلى حقيقة مهمة وهى أن التشيع العقدى لم يخف الغلو والكفر فيه بمرور الزمن كما يعتقد البعض بل إن الزمن كلما تقدم كلما ازدادوا انحرافا عن الإسلام وعن أى مفهوم دينى ، وقد جاء الخومينى فأضاف أيضا للعقيدة الشيعية الاثناعشرية بعض مبتكراته وأعاد اكتشاف بعض الأفكار الملحدة وأحياها وجدد طباعة كتب المجلسي "[32]".

لتتبلور العقيدة الشيعية اليوم فى العناصر التالية :

* اعتقادهم بأن الإمامة مكملة للدين والرسالة عندهم لم تتم وفق المفهوم القرآنى بإكمال الدين بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام بل جاء بعده ـــ فى معتقدهم ـــ أئمة يرتفعون على مقام الأنبياء والرسل جميعا وآخرهم المهدى الغائب .

* غلوهم الرهيب فى تفضيل الأئمة إلى حد القول بأنهم يعلمون الغيب ويعلمون متى يموتون وأوكل الله لهم أمر الكون ولهم ولاية تكوينية أى قدرة على الخلق وإحياء الموتى والرزق والحساب والحضور عند الموت إلى آخر تلك الأقوال التى فاقت أقوال النصاري فى عيسي بن مريم ، وجعلوا هذا من ضروريات مذهبهم كما صرح بذلك الخومينى فى كتابه الحكومة الإسلامية

* تنقسم الشيعة الاثناعشرية إلى فرقتين فى داخل وعاء واحد أولهما الإخبارية التى تقبل بكل الأخبار الموجودة فى كتبهم المعتمدة وهى الكافي والوافي ومن لا يحضره الفقيه

---

[31] ـــ هذا التعبير أطلقه العلامة المجاهد أبو منتصر البلوشي فى مناظرات المسنقلة

[32] ـــ لمراجعة دور الخمينى ـــ يرجى مراجعة كتاب (الخمينى ـــ كبيرهم الذى علمهم السحر) ـــ لمحمد جاد الزغبي ـــ مكتبة صيد الفوائد

والوسائل ومستدرك الوسائل وبحار الأنوار وغيرها على اعتبار أن ما ورد فيها كله صحيح وهؤلاء كفار بالإجماع لكونهم يسلمون بأن القرآن محرف .

والفرقة الثانية وهى الأصولية التى اخترعت الاجتهاد فى زمن غيبة المهدى وتلك تقول بأن الكتب فيها الصحيح وفيها الضعيف لكنهم يسلمون بأخبارها فى مجملها .

* اعتقاد تحريف القرآن انفردت به الاثناعشرية فى عصرنا الحاضر على مستوى علمائها القدماء والمعاصرين .

* يعتقدون أن القرآن الكريم وحده ليس بحجة إلا إذا كان معه تفسير الإمام المعصوم ولا يجوز النظر فى القرآن واستنباط الأحكام منه مباشرة بغير قول المعصوم .

* يعتقدون بعقيدة البداء وهى تجويز وتصور الجهل بالله عز وجل ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ والبداء مفهومه أن الله عز وجل لا يعلم الحوادث قبل وقوعها وقد لجئوا إلى تلك المقولة حتى يمكنهم الخروج من مأزق ادعائهم علم الغيب على الأئمة حيث كانوا يكذبون على أئمة آل البيت وينسبون لهم نبوءات لا تقع فكان الحل أن يقولوا أن الله عز وجل يقرر الرأى ثم يرجع عنه والعياذ بالله .

* اعتقادهم فى التقية وهى ستر معتقدهم والتعامل بالنفاق والتزلف مع المجتمع المحيط لا سيما أهل السنة وجعلوا التقية من أعظم أركان الدين كى ينجحوا فى الهروب من المواقف الصعبة التى يضطرون فيها لإخفاء معتقدهم أمام الناس وعامة شيعتهم وإعلانه فيما بينهم فقط .

* من ضروريات مذهبهم أن الصحابة جميعا كفار مرتدون لأنهم ارتضوا أبا بكر رضي الله عنه خليفة للمسلمين والولاء والبراء عندهم يتمثل فى ولاية أهل البيت وفق مفهومهم والبراءة من الصحابة .

* من ضروريات مذهبهم أن جميع المسلمين ما عداهم حتى الشيعة الغير منتمين من للاثناعشرية هم كفار مستحقون للخلود فى النار كما نقل المفيد الملقب بشيخ الطائفة إجماعهم على ذلك ، وليس هذا فقط بل إن قتل السنة وهم النواصب فى نظرهم أى أعداء أهل البيت هو أقرب القربات إلى الله تعالى لأن دماءهم وأموالهم حلال زلال والسنة عندهم أكفر من اليهود والنصاري .

* طبقت الشيعة الاثناعشرية هذه العقيدة بالفعل عندما سطر تاريخهم القديم والقريب خيانتهم لأمة الإسلام منذ تسليمهم بغداد لهولاكو وافتخارهم بذلك حيث تم هذا على يد الوزير الشيعي بن العلقمى الذى كان وزيرا للخليفة العباسي إبان هجوم التتار وبمناصرة الطوسي أحد كبار شيوخهم .، وفعلوا نفس الأمر فى الشام على يد الكنجى الشيعي الذى كان يتستر بمذهب الشافعى لإخفاء اعتقاده عملا بالتقية وانتظارا للفرصة "[33]" .

وفى العصر الحالى تعاونت حركة أمل الشيعية التى أسسها موسي الصدر فى لبنان عام 82 مع اليهود لقتل الفلسطينيين وتهجريهم من لبنان باعتبارهم نواصب ، وأيضا مارستها ميلشيات حزب الله الذى تشكل من رحم أمل بعد ذلك "[34]" ، كما طبقها الشيعة المعاصرون فى العصر الحالى على يد ميلشيات الصدر وجيش المهدى وفيلق بدر الذين تمكنوا من ممارسة هذه الأعمال بحق أهل السنة فى العراق جنبا إلى جنب مع قوات الاحتلال وتزعمت الشيعة رياسة العراق .

كما أن الخومينى مشي من قبل على نفس النهج فأعلن الحرب على العراق لثمانى سنوات ورفض إيقافها رغم الحاح العراق فى ذلك ووعد أنه سيحرر العراق من نظامه رغم أنه عاش فى كنف هذا النظام 14 عاما عندما كان هاربا من الشاه "[35]".

* والعنصر الأخير وهو ما يعنينا بالضرورة فى هذا البحث ألا وهو اعتبار مفهوم آل البيت محصورا على أهل الكساء والأئمة الإثناعشر دون أى تقييد من دليل أو شبهة إثبات ، وعليه فقد أخرجوا أمهات المؤمنين من زمرة أهل البيت رغم ثبوت هذه الصفة لهم نصا وعقلا ، فضلا على تكريم الله عز وجل لهم بأمهات المؤمنين ، ومن أصول ولوازم عقيدتهم أيضا كيل الإتهامات والسب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتجديد الإفك القديم الذى دحره القرآن الكريم فى محاولة لإسقاط هذه الشخصية للأسباب السابق بيانها ، والتركيز على مهاجمة أم المؤمنين رضي الله عنها اتخذ فى تاريخ هذه الفرقة شكلا منهجيا منتظما

---

[33] ـــ أصول مذهب الشيعة الإثناعشرية ـــ د. ناصر القفاري

[34] ـــ أمل والمخيمات الفلسطينية ـــ د. عبد الله الغريب

[35] ـــ الثورة البائسة ـــ د. موسي الموسوى

حيث يعتبره علماء الطائفة من ضروريات المذهب ، وقد عبر عن هذا التوجه عالمهم الكبير المجلسي فى كتابه حق اليقين .. حيث يقول :

(إننا نتبرأ من الأصنام الأربعة .... عائشة وحفصة و ...

وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض وأنه لا يتم الإيمان بالله إلا بعد التبرؤ منهم) "[36]"

فهذه هى الأصول التي حكمت أولئك المرجفين مثيري الشبهات والإفتراءات على أمهات المؤمنين .

ويتضح للقارئ العزيز ـــ بعد هذا العرض ـــ أن أمر هذه الهجمات المعاصرة ليس غريبا ولا مستغربا ، كما أنه ليس عفو الخاطر أتى به زنديق كتصرف فردى ، بل هو منهج كامل تحكمه حزبيات وأنظمة وتقوم على رعايته مؤسسات كاملة ،

كما أن الهدف ليس النيل من أم المؤمنين في حد ذاته ، بقدر ما هو موجه للنيل من الإسلام كعقيدة ودين وتاريخ ..

[36] ـــ حق اليقين ـــ باقر المجلسي ـــ برنامج المعجم الفقهى للشيعة

الفصل الثالث :
أم المؤمنين .. شخصية أسرت النبوغ

هكذا علمنى أبي "[37]"

الله أســـــــألهُ باســـــــم جلالـــــــهِ ... وبكـــل اســـم .. مـــا أتـــى ببيـــان
أن أرتـــــوى مـــــن ذكـــــر آل محمـــــدٍ ... ومـــــن الـــــصحابةِ ســـــابقي الإيمـــــانِ
ويكـــــون حبـــــهمو لقلـــــبي موطنـــــا ... لا يـــستوى معـــه .. هـــوى الأوطـــانِ
فهـــــمُ الـــــذين تحملـــــوا وتماســـــكوا ... كـــــى تـــــصدح الأقطـــــار بـــــالآذانِ
كانوا يـــدا .. في الحـــق واحـــدةً .. تفـــي ... بالعهـــــد والميثـــــاق والإحـــــسانِ
قـــــد ألّـــــفَ الله القلـــــوب بنـــــورهِ ... فتجمعـــــوا في بيعـــــة الرضـــــوانِ
واللهُ فـــوق العـــرش فـــاخَر خلـــقَـــهُ ... بهمـــــو .. وتمـــــم عهـــــدهم بأمـــــانِ
يـــا رب .. أســـألك اللحـــاق بركبـــهمْ ... في مبعـــــث الخـــــلاّن والركبـــــانِ

[37] ـــ من قصيدة (هكذا علمنى أبي) ـــ مصدر سابق

الفصل الثالث :

أم المؤمنين .. شخصية أسرت النبوغ

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .. زوجة رسول الله صلي الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة منبع الفضائل ،ونورانية العفاف ،وقرآنية الإنصاف ،وفقيهة الخلفاء ،وسيدة بيت النبوة ،رضي الله عنها وأرضاها ..

تصاغر النبوغ بين يديها فأسرته و لم يأسرها ،وَوُصف بها و لم تُوصف به ،

هى عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ،أبوها هو الصديق رضي الله عنه خليفة رسوله الله عليه الصلاة والسلام .. وصاحبه وصاحب هجرته .

وأمها هى أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة "[38]"

وُلدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس وتزوجها النبي بعد وفاة الصديقة أم المؤمنين الكبرى خديجة بنت خويلد وذلك قبل الهجرة ببضعة بثلاث سنين وهي بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها وهي بنت تسع سنين في شوال في السنة الثانية من الهجرة منصرفة رضي الله عنها من غزوة بدر و لم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها ،

وقد أورد البلاذرى في (أنساب الأشراف) عن محمد بن سعد بسنده إلى عائشة رضي الله عنها .. قالت :

(تزوجنى رسول الله صلي الله عليه وسلم في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وأنا بن ست سنين وهاجر رسول الله صلي الله عليه وسلم فقدم المدينة يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ،وأعرس بي على رأس ثمانية أشهر من المهاجر وكنت يوم دخل بي تسع سنين) "[39]"

وقد تكنت بأم عبد الله كما ذكر محمد بن سعد بسنده إلى عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

---

[38] ــ الطبقات الكبري ــ بن سعد الواقدى ــ الجزء العاشر ــ ص56 وما بعدها بتصرف يسير

[39] ــ المصدر السابق ــ ج 10 ــ ص 57

(يا نبي الله ألا تكنيني .. ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اكتني بأم عبد الله . فكانت تكنى بأم عبد الله) "[40]"

وفضائلها ومآثرها يضيق بها الحصر والمقام ،

ولهذا فإن الصفحات تتسع فقط لبعض فضائلها العامة التي شاركها فيها غيرها ،وفضائل أخرى جاءت خاصة بها وحدها رضي الله عنها مما تميزت به على الأمة جميعا ،

فمن فضائلها العامة ،والتي يمكن أن نجد بين كبار شخصيات الإسلام من يتمتع بها معها : تلك الواردة في فضائل أمهات المؤمنين وخاصة عائشة رضي الله عنها زوجات نبينا وحبيبنا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد أنزل الله عز وجل في حقهن قوله :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [الأحزاب: 32]،

وقال عز وجل

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: 6].

ومن فضائلها دخولها في مفهوم قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

وقوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾.

ومن فضائلها العامة أيضا دخولها في حديث أفضل نساء الأمة وأكملهن ،على نحو ما أخرجه البخاري من حديث أبي موسي الأشعري رضي الله عنه قال :

(قال رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم «كَمَلَ منَ الرِّجال كثيرٌ، ولم يكمُلْ منَ النساء إلاّ مريمُ بنت عِمرانَ وآسيةُ امرأةُ فِرعونَ .وفضلُ عائشةَ على النساء كفضل الثَّريدِ على سائر الطعام)

ومن فضائلها العامة أيضا أنها كانت واحدة من الأفئدة العلمية التي تهوى إليها أكباد طلبة العلم ،فكان كبار الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى جمع مميز منهم للمعضلات كعمر وعلي وبن عباس ومعاذ بن جبل وكانت عائشة رضي عنها من بينهم , حتى قال فيها أبو موسي الأشعري رضي الله عنه فيما أخرجه الترمذي وصححه ..

[40] ــ المصدر السابق ــ ج 10 ــ ص 64

(ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً)

وأيضا روى الدارمى :

(عن مسلم بن صبيح قال: سألت مسروقاً: كانت عائشة تحسن الفرائض؟

قال: والذي لا إله غيره لقد رأيت الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض)

ومن فضائل علمها الغزير أنها أعطت لمن بعدها علما حاز ربع شريعة الأحكام تقريبا وهى واحدة من كبار رواة الحديث الشريف وأسانيدها هى أعلى الأسانيد صحة كما عند البخارى ومسلم .

وقال الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ..

(مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث . اتفق البخاري ومسلم لها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين وانفرد مسلم بتسعة وستين)

"41"

وهكذا شهد لها المسلمون والعلماء عبر العصور بكافة فضائل العلم والعلماء إلى جوار فضائل زوجات النبي عليه الصلاة والسلام وموقعهن المتفرد فى الأمة الإسلامية ، و لم تكن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها تتمتع بالصفات السابقة فقط ،بل قسم الله عز وجل لها من الصفات المتفردة الشيئ الكثير والنابغ ، فجاءت هذه الصفات عنوان كمال فى حياة هذه الشخصية المتفردة ،

[41] ــ سير أعلام النبلاء ــ الإمام الذهبي ــ الجزء التاسع ــ 139

الفضائل والصفات التي انفردت بها رضي الله عنها :

انفردت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعدد من الفضائل والصفات التي يجهلها الكثيرون عنها ،رغم تواتر مجيئها عن السلف بسبب اشتهار صفاتها الأخرى ورغم أن هذه الفضائل المتفردة متعددة وكثيرة ،إلا أن أم المؤمنين رضي الله عنها لم تعتز ولم تذكر عن نفسها أفضل من صفاتٍ عشرْ وردت بحقها رضي الله عنها ،وتحدثت عنهن بنفسها ، فقد أورد محمد بن سعد بسنده إلى القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

(فُضلت على نساء النبي بعشر .

قيل : وما هن يا أم المؤمنين ؟!

قالت : لم ينكح النبي صلي الله عليه وسلم بكرا قط غيري ،ولم ينكح إمرأة أبواها مهاجران غيري ،وأنزل الله تعالى براءتى من السماء ،وجاءه جبريل بصورتى من السماء في حريرة وقال : تزوجها فإنها إمرأتك ،فكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري ،وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك مع غيري ،وكان يترل الوحى وهو معى ولم يكن يترل وهو مع أحد نسائه غيري وقبض الله نفسه وهو بين سحرى ونحرى ،ومات في الليلة التي كان يدور فيها عليّ ،ودفن في بيتى) "42"

وأقوى وأبرز هذه الصفات بتناوله والحديث عنه هو نزول براءتها رضي الله عنها من السماء في حادثة الإفك ،والتي أنزل الله فيها ثمانية عشر آية لتبرئتها وتزكيتها وذم المنافقين وأصحاب الإفك ،فكانت أعظم خصائصها التي تفردت بها رضي الله عنها ومبعث فخرها واعتزازها أن ينصفها الله عز وجل بآيات بينات تُتلى إلى يوم القيامة ،بينما هى رضي الله عنها لم تكن تطمح إلا في ظهور براءتها برؤيا يراها النبي عليه الصلاة والسلام ،

وكانت البداية مع قوله تعالى :

[إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ] {النور:11}

ولندع أم المؤمنين تعطر الصفحات بهذه القصة من روايتها ،

---

42 ــ الطبقات الكبري ــ بن سعد ــ الجزء 10 ص 63 وما بعدها

أورد بن كثير في تفسيره :

(وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري قال :

أخبرني سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله ، وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا ، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني ، وبعض حديثهم يصدق بعضا :

ذكروا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ،

قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج فيها سهمي ، وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعدما أنزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة ، آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري ، فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي ، فحبسني ابتغاؤه . وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب – وهم يحسبون أني فيه – قالت : وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلهن و لم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة من الطعام . فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي . فبينا أنا جالسة في منزلي ، غلبتني عيني فنمت – وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش – فادلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رآني . وقد كان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه

كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يدها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة . فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول . فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهرا ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ، ثم يقول : " كيف فيكم؟ " فذلك يريبني ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع – وهو متبرزنا – ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها في بيوتنا . فانطلقت أنا وأم مسطح – وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب – فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت " تعس مسطح . " فقلت لها : بئسما قلت ، تسبين رجلا [قد] شهد بدرا؟ قالت : أي هنتاه ، ألم تسمعي ما قال؟ قلت : وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضا إلى مرضي . فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ، ثم قال " كيف تيكم؟ " قلت : أتأذن لي أن آتي أبوي؟ – قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما – فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ فقالت : أي بنية هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة ، عند رجل يحبها ، ولها ضرائر إلا أكثرن عليها . قالت : فقلت : سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت ، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي ، يستشيرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه له من الود ، فقال : يا رسول الله ، هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا . وأما علي بن أبي طالب فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر .

قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ، فقال : " أي بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ " فقالت له بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : " يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي " . فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج ، أمرتنا ففعلنا أمرك . قالت : فقام سعد بن عبادة – وهو سيد الخزرج ، وكان رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحمية – فقال لسعد بن معاذ : لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ – فقال لسعد بن عبادة : كذبت! لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين . فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم [قائم على المنبر . فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم] يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي . قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، استأذنت علي امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينا نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس – قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل [لي] ما قيل ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء – قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب ، تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : والله ما أدري ما أقول للرسول . فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله . فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله .

قالت : فقلت – وأنا جارية حديثة السن ، لا أحفظ كثيرا من القرآن – : [إني] والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا ، حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، ولئن قلت لكم إني بريئة – والله يعلم أني بريئة – لا تصدقوني [بذلك . ولئن اعترفت لكم بأمر والله عز وجل يعلم أني بريئة تصدقوني] ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف (:فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .] (قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن يترل في شأني وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى . ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد ، حتى أنزل الله على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات ، من ثقل القول الذي أنزل عليه . قالت فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها أن قال : " أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك . فقالت لي أمي : قومي إليه . فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل ، هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله عز وجل) : إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم (عشر آيات . فأنزل الله هذه الآيات في براءتي قالت : فقال أبو بكر ، رضي الله عنه – وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره – : والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة . فأنزل الله عز وجل (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة (إلى قوله(ألا تحبون أن يغفر الله لكم) (النور : 22) قال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه . وقال : لا أنزعها منه أبدا.) "[43] .. انتهى كلام بن كثير ..

وهذه الآيات الكريمات فوق أنها مزية وفضيلة عظمى لأم المؤمنين رضي الله عنها ،فهى فوق ذلك حكم شرعى نزل بسببها رضي الله عنها فكانت فضيلتها بذلك أكبر وتخصيصها أوجب

وقد أورد بن تيمية رحمه الله كلاما نفيسا عن طبيعة هذا الحكم الشرعي في كتابه

[43] ـــ تفسير القرآن العظيم ـــ الإمام بن كثير ـــ الجزء السادس ـــ ص 22 وما بعدها

(الصارم المسلول) حيث قال :

(وروى أحمد بإسناده عن أبي الجوزاء في هذه الآية

[إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] {النور:23}

قال : هذه لأمهات المؤمنين خاصة ،وروى أحمد بإسناده عن الضحاك في هذه الآية أنه قال هن نساء النبي عليه الصلاة والسلام ، وقال معمر بن الكلبي : إنما عنى بهذه الآية زوجات النبي عليه الصلاة والسلام ،فأما من رمى إمرأة من المسلمين فهو فاسق كما قال الله تعالى أو يتوب .

ووجه هذا ما تقدم من أن لعنة الله في الدنيا والآخرة لا تستوجب بمجرد القذف فتكون اللام في قوله (المحصنات الغافلات المؤمنات) لتعريف المعهود ،

والمعهود هنا زوجات النبي عليه الصلاة والسلام لأن الكلام في قصة الإفك ووقوع من وقع في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) "[44]"

ثم يضيف شيخ الإسلام بن تيمية :

(واعلم أن هذا القول تكون الآية فيه حجة أيضا موافقة لتلك الآية وهى قوله تعالى

[إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ] {النور:11}

لأنه لما كان رمى أمهات المؤمنين أذى للنبي عليه الصلاة والصلاة والسلام ،لُعن فى الدنيا والآخرة ،ولهذا قال بن عباس : ليس فيها توبة

لأن مؤذى النبي عليه الصلاة والسلام لا تقبل توبته إذا تاب من القذف حتى يسلم إسلاما جديدا ،وعلى هذا فرميهن نفاق مبيح للدم إذا قصد به أذى النبي عليه الصلاة والسلام أو أذاهن بعد العلم بأنهن أزواجه فى الدنيا والآخرة فإنه ما بغت امرأة نبي قط) "[45]"

وهذا يوضح لنا مدى فداحة الجرم الذى وقع فيه أصحاب الإفك القديم ،ومدى الفداحة الأكبر التي يتصف بها فعل الذين يجددون أحاديث الإفك اليوم بعد أن تولوا كبر هذا

---

[44] ــ الصارم المسلول ــ بن تيمية ــ ص 48

[45] ــ المصدر السابق ــ ص 49 ــ بتصرف يسير

الفعل الشنيع ، وقد قام شيخ الإسلام بتفصيل حكم السب والطعن في السيدة عائشة رضي الله وأمهات المؤمنين ،ونقل في ذلك إجماع علماء المسلمين بلا خلاف حيث قال :

(فأما من أزواج النبي عليه الصلاة والسلام فقال القاضي أبو يعلى : فأما من قذف عائشة بعد أن برأها الله تعالى فيكفر بلا خلاف وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم) "[46]"

وقد بين شيخ الإسلام حكم السب فى غير عائشة رضي الله عنها وفيه قولان :

أحدهما : أنه كشتم سائر الأصحاب ويرتب فسق الساب إلا أن يكون الرمى بالكفر لا بالسب

ثانيهما : وهو الأصح ــ كما نقل شيخ الإسلام ــ أن قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها وإيذاء النبي عليه الصلاة والسلام واحد فى جميع زوجاته

ومن هنا اتضح الحكم الفقهى الذى أنزله الله تعالى مصاحبا لحادثة الإفك ،وكانت عائشة رضي الله عنها هى عنوان الحكم فيه ،وقيست على إثرها سائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعا

وثانى أبرز الصفات المتفردة لها رضي الله عنها :

ما أخرجه البخارى ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ،حيث جاء جبريل عليه السلام بصورة عائشة رضي الله عنها للنبي عليه الصلاة والسلام في كساء من حرير ،

ونص الحديث

(عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : قال صلى الله عليه وسلم » : أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلاَثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ) "[47]"

وثالثها : ما ورد في حديث الشيخين أيضا من أن جبريل أقرأ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها السلام ،

---

[46] ــ الصارم المسلول ــ بن تيمية ــ ص 473

[47] ــ اللفظ لمسلم ــ شرح صحيح مسلم للنووى ــ الجزء الخامس عشر ــ ص 212

(عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قال صلى الله عليه وسلم يَوْماً : « يَا عَائِشَ ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ » . فَقُلْتُ : وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، تَرَى مَا لاَ أَرَى . تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) "[48]"

ورابعها : ما ورد في أنها رضي الله عنها كانت دائما سببا في تفريج الكروب عن المسلمين ،فقد أخرج الشيخان من حديثها رضي الله عنها .. قالت :

(عنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلاَدَةً فَهَلَكَتْ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَاساً مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلاَةُ ، فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ ، فَلَمَّا أَتَوُا النبي صلى الله عليه وسلم شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ . فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ : جَزَاكِ اللَّهُ خَيْراً ، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجاً ، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً) "[49]"

وخامسها : ما رواه البخارى عن تواضعها وتقواها رضي الله عنها ،حيث أخرج البخارى في صحيحه :

(عَنْ ابْنُ أَبِى مُلَيْكَةَ قَالَ : اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ ، وهي مَغْلُوبَةٌ قَالَتْ : أَخْشَى أَنْ يُثْنِىَ عَلَىَّ . فَقِيلَ : ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَت : ائْذَنُوا لَهُ . فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدِينَكِ ؟ قَالَتْ : بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ . قَالَ : فَأَنْتِ بِخَيْرٍ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ – زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْراً غَيْرَكِ ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ . وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلاَفَهُ فَقَالَتْ : دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَىَّ وَوَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ نِسْياً مَنْسِيًّا) "[50]"

---

[48] ــ أخرجه البخاري ــ كتاب فضائل الصحابة ــ باب فضل عائشة 36/5 . وأخرجه مسلم ــ كتاب فضائل الصحابة ــ باب فضل عائشة. صحيح مسلم بشرح النووى 210/15- 211

[49] ــ أخرجه البخاري ــ نفس الكتاب والباب السابق . وأخرجه مسلم ــ كتاب الحيض ــ باب التيمم . صحيح مسلم بشرح النووى 59/4-60

[50] ــ أخرجه البخاري ــ كتاب التفسير ــ تفسير سورة النور باب {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ }

وسادسها : مكانتها الغير مسبوقة عند النبي صلي الله عليه وسلم وهو أشرف الأمة ،وقد جعلها الله تعالى حبيبته وخليلته وزوجته في الدنيا والآخرة ،والآثار كثيرة ومستفيضة في مكانتها عنده عليه الصلاة والسلام ،ومن ذلك

ما أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير قول النبي عليه الصلاة والسلام :

(يا عائشة إنه ليهون على الموت أني قد رأيتك زوجتي في الجنة)

فأى بشارة أعظم من تلك البشارة ،وأى مكانة أعلى من تلك المكانة السامقة حتى يجعلها الله عز وجل سببا فى تهوين الموت على أشرف خلقه عليه أفضل الصلاة والتسليم ،

ومن ذلك أيضا :

أن الناس كانوا يتحرون يوم عائشة ليقوموا بإهداء هداياهم إليه عليه الصلاة والسلام، كما مات النبي عليه الصلاة والسلام وهو بين سحرها ونحرها وفى اليوم الذى كان دورها قائما فيه وقد كانت البكر الوحيدة بين جميع نسائه عليه السلام ،

كذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم مات في بيتها ودفن في بيتها وقد حفت الملائكة بيتها وقبض و لم يشهده غير عائشة والملائكة

ومن ذلك أيضا شهادته بأنها أحب الناس إليه من النساء ،

فقد أخرج البخارى ومسلم من حديث عمرو بن العاص قال :

(عن عمرو بن العاص رضي الله عنه تعالى عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة. قال فمن الرجال؟ قال: أبوها. قلت ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعد رجالاً)

ومن ذلك أيضا :

اعتزاز النبي عليه الصلاة والسلام بها أمام نسائه حيث أخرج الشيخان من حديث أم سلمة رضي الله عنها قوله :

(لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة) ..

وقد نصح ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها بحب عائشة وقرنه بحب أبيها عليه الصلاة والسلام كما عند البخارى

وقد كان فى أيام مرضه الأخيرة عليه الصلاة والسلام يتحرى وينتظر اليوم الذى يأتى فيه سهم عائشة كى يكون عندها

وروى البخاري :

(أنه لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذن له .)

وهذا يدل على سبق عائشة عند النبي عليه الصلاة والسلام كما يدل على الفضيلة التى تمتعت بها أمهات المؤمنين وهم يؤثرها على أنفسهن كى يحققن للنبي عليه الصلاة والسلام ما يرغب

ومن ذلك أيضا :

شفقته الشديدة عليها صلي الله عليه وسلم وكثرة احتفائه بها ومداعبتها .. وقد أخرج البخارى من حديثها رضي الله عنها ..

(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد، وإن يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف" وفي لفظ "حتى أكون أنا التي أسأم

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! أرأيت لو أنك نزلت وادياً فيه شجرة قد أُكِل منها، ووجدت شجرة لم يُؤكل منها فأيّتهما كنت تُرتع بعيرك؟ ، فقال: (الشجرة التي لم يؤكل منها)، قالت: فأنا هي، تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها،

إلى غير ذلك من الأدلة الناطقة بحبه صلى الله وسلم لها ..

وسابعها : شهادة النبي عليه الصلاة والسلام لها بالجنة أكثر من مرة ،سواء في الأحاديث التي بشرها النبي عليه الصلاة والسلام برفقته لها في الجنة أو في غير ذلك ،

ومن هذا ما أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ،ووافقه الذهبي من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

(قلت يا رسول الله! مَن مِن أزواجك في الجنة؟

قال: (أما إنّكِ منهنّ)، قالت: فخُيِّل إليّ أن ذاك؛ لأنه لم يتزوج بكراً غيري)

ثامنا : وقد شهدت لها الصحبة النبوية الكريمة وسائر أعلام الأمة من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ،ومن علماء الأمة قديما وحديثا ،

فعن عاصم بن كليب عن أبيه قال : انتهينا إلى عليٍّ رضي الله عنه فذكر عائشة فقال: (خليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وعن عمر بن غالب أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر فقال :

اغرب مقبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا أبو موسى الأشعري يقول :

(ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها علما)

وروي الصالحى فى كتاب (أزواج النبي عليه السلام) أن عبد الله بن عباس يزورها في مرض موتها فيقول :

أبشري فوالله ما بينك وبين أن تفارقي كل نصبٍ، وتلقي محمد صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تفارق روحك جسدك ، ثم يقول :

(كنتِ أحبِّ نساء النبي صلى الله عليه وسلم إليه و لم يكن يحب إلا طيبا ثم ذكر نزول آية التيمم بسببها)

ثم قال (ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات؛ فأصبح ليس مسجد من مساجد يذكر فيها الله إلا براءتك تتلى فيه آناء الليل والنهار)

وأخرج البخارى فى صحيحه شهادة أخرى لها عن ابن عباس رضي الله عنهما :

(أنَّ عائشةَ اشتكَت، فجاء ابنُ عباس فقال: يا أُمَّ المؤمنين، تَقْدَمينَ على فَرَطِ صدق، على رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر)

وهذا الزهري يقول :

(لو جمع علم عائشة إلى جميع النساء لكان علم عائشة أفضل)

وقال مسروق بن الأجدع :(لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض)

وكان إذا حدِّث عنها قال: حدثتني الصدِّيقة بنت الصدِّيق حبيبة حبيب الله "[51]"

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن خديجة وعائشة: أمي المؤمنين رضي الله عنهما أيهما أفضل؟

قال – رحمه الله تعالى –

(سبق خديجة، وتأثيرها في أول الإسلام، ونصرها، وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة، ولا غيرها من أمهات المؤمنين. وتأثير عائشة في آخر الإسلام، وحمل الدين، وتبليغه إلى الأمة، وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة، ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها) "[52]"

[51] ـــ الطبقات الكبري ـــ مصدر سابق

[52] ـــ مجموع الفتاوى (393/4)

بعض الجوانب الخافية فى شخصية أم المؤمنين رضي الله عنها :

من الحقائق شبه المجهولة فى تاريخ أم المؤمنين رضي الله عنها ،أنها كانت شخصية متعددة الأبعاد والجوانب ، لم يقتصر نبوغها على المجالات التى تقدم ذكرها فقط ،

بل امتد لموهب أخرى متعددة حازت فيها أيضا قصب السبق وعدها معاصروها من النوابغ فى هذه المجالات .

ومن الجوانب الخافية عن كثيرين فى السيدة عائشة رضي الله عنها ،بخلاف الفضائل ،نبوغها فى الأشعار والآداب والأنساب رواية ودراية .

وبلغت فى هذا المجال سبقا تسجله شهادات العلماء ،ومنها

قال الحافظ ابن حجر :

(الصديقة بنت الصديق مات النبي صلى الله عليه وسلم ولها نحو ثمانية عشر عامًا ، وقد حفظت عنه شيئاً كثيرًا وعاشت بعده قريبًا من خمسين سنة ، فأكثر الناس الأخذ عنها ، ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئاً كثيرًا حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها)"[53]"

وقد نقل البيهقي في كتاب (الزهد) عن عروة قوله :

(قال عروة: كانت عائشة رضي الله عنها أروى الناس للشعر)

فكانت رضي الله عنها منبعا للشريعة والحكم وألوان الأدب ،

ومنها أيضا تميزها بالفصاحة حتى عرفت بين الناس بها ،وقد أخرج الترمذى حديثا فى ذلك وصححه عن موسي بن طلحة قال (ما رأيت أحداً أفصح من عائشة)

وقال عروة بن الزبير (وهو ابن شقيقتها وأحد كبار رواة الحديث عنها وفقيه المدينة المعروف):

(ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بالحلال ولا بالحرام، ولا بفقه، ولا بطب ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة)

وليس هذا بغريب على بنت نسابة العرب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه

وعن معاوية رضي الله عنه قال :

---

[53] ــ فتح الباري بشرح صحيح البخارى ــ بن حجر العسقلانى ــ الجزء السابع ــ ص 134

(ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة) .

كذلك من جوانب شخصيتها الفريدة أنها ـــ رغم مكانتها المذهلة ـــ لم تكن تزيد إلا تواضعا وخشية لله عز وجل رغم جلالة مقامها عند النبي عليه الصلاة والسلام وعند المسلمين ومن قبلهم عند رب العالمين ،

فقد روى بن سعد فى الطبقات بسنده إلى عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة أنها قالت :

(وددت لو أنني كنت نسيا منسيا)

وروى بن سعد كذلك بسنده إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه عن بعض أصحابه عن عائشة أنها قالت :

(يا ليتنى لم أُخلق ،يا ليتنى كنت شجرة أسبّح وأقضي ما علىّ) "[54]"

وبلغت فى الزهد أعظم مبلغ تنفيذا لوصية النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال :

(يا عائشة إن أردت اللحوق بي فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب , وإياك ومجالسة الأغنياء ،ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه) "[55]"

وكانت رضي الله عنها تقرأ القرآن وتبكى حتى يبتل خمارها ،وليلة انتقالها إلى الرفيق الأعلى روى بن سعد بسنده إلى عثمان بن أبي عتيق عن أبيه أنه قال :

(رأيت ليلة ماتت عائشة حُمل معها جريد فى الخرق فيه النار ليلا ،ورأيت النساء بالبقيع كأنه يوم عيد) "[56]"

رضي الله تعالى عن أم المؤمنين وجزاها الله عنا خيرا ..

---

[54] ـــ الطبقات الكبري ـــ بن سعد الواقدى ـــ ج 10 ـــ ص 72 وما بعدها

[55] ـــ المصدر السابق

[56] ـــ المصدر السابق

عمق العلاقة بين أم المؤمنين وعليّ وفاطمة وأبناءهما رضي الله عنهم :

ومما يزيد القلب تعجبا ،والعقل تحيرا ،في زمننا الحالي ،أننا نجد أنفسنا في اضطرار لإيضاح مدى عمق علاقة الود بين قوم ألف الله بين قلوبهم ، وكانوا أهل بيت واحد هو بيت النبوة وعلاقتهم جميعا بالصحابة على نفس المستوى ولا يوجد في نقل صريح أو عقل صحيح ثمة تعكير لهذا الصفو الذي ساد العلاقة في جميع مراحلها ، وهذا الأمر مما أجمع عليه المؤرخون قديما وحديثا بل إن المفاجأة الكبري تتمثل في أن قوة العلاقة بين السيدة عائشة رضي الله عنها وبقية أهل البيت والصحابة رضي الله عنهم ثابتة في كتب السنة وكتب الشيعة معا !!

فهذه الحقائق لا يغفلها باحث لد قدر حبة من الإنصاف ، ونظرا لأن دعاوى الفتنة تجد في أزماننا هذي آذانا مصغية تحت مختلف التأثيرات وأهمها قلة المطالعة وافتقار الهمة للبحث فإنه كان لزاما التعرض لهذه العلاقة وتقديم أقوى براهينها ، ونحن لا نحتاج في إثباتها الجهد الكبير وطلبا للإختصار سنشير إلى شواهد عمق العلاقة من كتب الفريقين وبأنصع الأدلة حتى لا يكون أمام قارئ منصف عذر !

ففي البداية ..

السيدة عائشة رضي الله عنها وأمهات المؤمنين مع علي وفاطمة صنوان بيت واحد فكلهم مع أبناء عمومة النبي عليه الصلاة والسلام أهل بيت النبوة ،وقد أثبت القرآن هذه العلاقة بصريح آياته ،فكان وصف آل البيت منصرفا إلى أمهات المؤمنين مع كرامة التطهير بموجب آية التطهير الذي اتفق النقل والعقل على نزولها في زوجات النبي عليه الصلاة والسلام ،

يقول تعالى :

[وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا]

{الأحزاب:33}

وسياق الآية واضح لكل عاقل كيف أن آية التطهير وردت فى منتصف الخطاب لزوجات النبي عليه الصلاة والسلام وبهذا تسقط سائر دعاوى الشيعة بحصر وصف الآل فى أصحاب الكساء وحدهم دون أدنى دليل .

ومع أمهات المؤمنين أثبت النبي عليه الصلاة والسلام وصف آل البيت والتطهير بموجب حديث الكساء والدعاء الذى دعا به النبي عليه الصلاة والسلام لعلى وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، وقد فصلنا هذا القول بسائر عناصره فى إحدى المناظرات المطبوعة التى تناولت هذا الجانب "[57]" .

وأما أبناء العمومة فقد ثبتت بحقهم أوصاف بيت النبوة بموجب حديث زيد بن أرقم الذى أخرجه الإمام أحمد وحدد فيه آل بيت النبوة الذين حرموا الصدقة بعده عليه الصلاة والسلام

وأما قوة العلاقة مع الصحابة ،فهى كالشمس فى كتب السير ،ومن قبل كتب السير أثبتها الله عز وجل فى كتابه فى حديثه عن مجتمع الصحابة الذى ضم آل البيت والمهاجرين والأنصار فى قوله تعالى :

[وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {الأنفال:63}

ونحن لا نحتاج إلى الإغراق فى ذكر الأدلة مع هذه الآية الكريمة قطعية الدلالة والثبوت ،والتى أثبتت أن هؤلاء القوم ألف بينهم الله تعالى بقدرته ، فعن أى دليل نبحث يعد ذلك ؟!

ومن الدليل العقلي أننا ننظر إلى ما فعله هذا الجيل الكريم ،جيل الصحابة وآل البيت من الذين نشروا الإسلام فى أصقاع الأرض ،وأقاموا دولتهم الراشدة فى بضع سنوات هى كالثوانى فى عمر الحضارات !

فهل هذا العمل الجليل الموفق بتوفيق الله كان له أن يحدث من قوم لم تتآلف قلوبهم إلى الدرجة القصوى ، وإذا كان الله عز وجل قال عن هذه الأمة ..

[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ] {آل عمران:110}

[57] ـــ المناظرة الكبري مع الشيعة الإثناعشرية ـــ محمد جاد الزغبي ـــ مكتبة صيد الفوائد الإسلامية

فمتى كنا خير أمة إذا كان هذا الوصف لاينطبق على جيل الصحابة وآل البيت الأوائل ؟! وكيف كانوا خير أمة لو أن ما بينهم كانت البغضاء والشحناء كما حاول الموهمون أن يبثوا وينشروا ؟!

وقد ركز الرافضة ومن لف لفهم على إثبات المستحيل وهو محاولة تشويه العلاقة بين أم المؤمنين والصحابة وبين على وفاطمة وأئمة آل البيت ،وهو الأمر الذى ينافي الواقع الثابت فى كتب سائر الفرق ،تلك التى تحدثت عن المصاهرات التى تمت بين بيوت الصحابة وآل البيت فضلا على تسمية الأبناء بأسماء عائشة وأبي بكر وغيرهم رضي الله عنهم ، وقد حاول الرافضة استغلال فتنة موقعة (الجمل) لضرب العلاقة بين الإمام علىّ وبين عائشة رضي الله عنهما وهو الأمر الذى ثبت كذبه وزوره بالأسانيد الصحيحة التى نقلها العلماء الثقات وتناولناها فى الفصل الثانى من هذا البحث .

فضلا على أن المعاملة بين الإمام علىّ والسيدة عائشة رضي الله عنها ،كانت ولا زالت نموذجا للإحترام المتبادل والعلاقة الوثيقة ،فعلىّ رضي الله عنه من أمراء المؤمنين ،وعائشة رضي الله عنها أم المؤمنين ،فكيف نتصور قادحا فى تلك العلاقة التى أثبتها القرآن الكريم ، وهل يتنكر الإبن لأمه ؟!

وبمثل هذا ينطبق القول على سائر أئمة آل البيت الذين اقتدوا بأبي بكر وعائشة رضي الله عنهم ،وقد كانت العلاقة بين السيدة عائشة وفاطمة رضي الله عنهما علاقة المودة العظمى ،ففوق علاقة أمومة المؤمنين ،اجتمعت محبة عائشة وفاطمة فى قلب النبي عليه الصلاة والسلام فكانتا أحب النساء إليه عليه الصلاة والسلام ، وهذه المكانة المميزة المتساوية لكليهما هى التى جعلتهما على تلك العلاقة المتينة التى تربطها مودة وحب النبي عليه الصلاة والسلام نفسه ،

وقد زادت محبة فاطمة لعائشة رضي الله عنهما وتأكدت بطلب النبي عليه الصلاة والسلام كما فى حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها .. قالت :

(أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها

فقالت يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة قالت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أي بنية ألست تحبين ما أحب فقالت بلى قال فأحبي هذه قالت فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن لها ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولي له إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة والله لا أكلمه فيها أبدا) "[58]"

ونص الحديث أوضح من الشمس حيث امتثلت فاطمة لأمر النبي عليه الصلاة والسلام ،ليس فى الحب ــ فهو موجود بالفعل ــ ولكن فى توثيق تلك المحبة لعائشة رضي الله عنها وكيف أن النبي عليه الصلاة والسلام ربط حب ابنته الزهراء رضي الله عنها له ،بحب عائشة رضي الله عنها ،وهذا الحديث وحده يغنى عن أى كلام فى هذا الشأن .

أما الإمام علىّ رضي الله عنه فقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تُجله وتحفظ له مكانته كرابع الخلفاء ورابع أفضل من بعد النبي عليه الصلاة والسلام ،

وقد أورد الحافظ العسقلانى فى فتح الباري رواية صريحة عن عائشة رضي الله عنها بهذا المعنى فقال :

(قال الأحنف بن قيس : لقيت طلحة والزبير بعد حصر عثمان ،فقلت : ما تأمرانى فإنى أراه مقتولا ؟

قالا : عليك بعلىّ ..

قال : فلقيت عائشة بعد قتل عثمان فى مكة ،فقلت : ما تأمرينى ؟

قالت عليك بعلىّ) "[59]"

وهذا ما نفذته أم المؤمنين رضي الله عنها وطلحة والزبير رضي الله عنهما وبايعا الإمام علىّ ،ولم يحدث قط أن تفوه أحدهم بحرف ضده أو إقلالا لقيمته ومقداره ،

ومن ناحية الإمام علىّ ..

---

[58] ــ صحيح مسلم ــ الجزء الرابع ــ ص 1892 وما بعدها

[59] ــ فتح الباري ــ مصدر سابق ــ الجزء الثالث عشر ــ ص 38

فلم يكن رضي الله عنه أقل إجلالا لها ولا أكرم ،وقد أوفدها بعد فتنة الجمل إلى المدينة معززة مكرمة بصحبه أخيها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ،وأرسل فى حمايتها حتى وصلت إلى المدينة ،ولم يكن ما حدث فى فتنة الجمل ـــ وقد فصلنا وقائعه ورأينا كيف انبثقت فتنة بن سبأ ـــ إلا قدرٌ من الله مقدور ،وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عليا بهذا المعنى وكان تصرفه يوم الجمل منبعثا من نبوءة النبي عليه الصلاة والسلام ،

فقد أخرج الإمام أحمد فى المسند عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعلىّ رضي الله عنه (سيكون بينك وبين عائشة أمر ..

فقال علىّ رضي الله عنه : فأنا أشقاهم إذا يا رسول الله { وهذا القول من الإمام علىّ يبرهن على مدى إكبار الإمام علىّ لمقام أم المؤمنين رضي الله عنها .. }

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لا ،ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها)

وليس هذا فقط , بل جاءت الوقائع بما يثبت عمليا مدى عمق العلاقة بين على وفاطمة وأبنائهما وبين عائشة رضي الله عنهم جميعا ..

إذ كانت هي التي رَوت حديث الكِساء في فضْل عَلِي وفاطمة، والحسن والحسين، والحديث أخرجَه مسلم.

وهى من أخبرتْ عن مَحبَّة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – للحسن بن علي – رضي الله عنهما – والحديث أخرجَه مسلم.

وكانتْ كثيرًا ما تُحيلُ السائل على عَلِي ليجيبَه، فقد أحالت شُريح بن هانئ لَمَّا سألَها عن المسحِ على الخُفَّين على عَلِي، وقالتْ له عليك بابن أبي طالب فسَلْه؛ فإنَّه كان يسافر مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم والحديث رواه مسلم

والمواقف فى هذا الشأن الجامع بين الطرفين كثيرة ومتعددة ،وقد دونها أهل السنة فى صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم تصديقا للقرآن الكريم ،

فضلا على ما احتوته كتب الشيعة أنفسهم ،من أمثال تأكيد علاقة المودة والإخاء التى جمعت بين الصحابة وآل البيت وبين آل البيت وبعضهم البعض رضوان الله عليهم ،

وهذا ما سنركز عليه ،لأن واقع كتب الشيعة يقول أنهم كرروا ما نقله أهل السنة من تفاصيل العلاقة الربانية بين طرفي الإسلام ،ومنها ..

أولا : ما نقلوه عن الإمام علىّ رضي الله عنه فى نهج البلاغة ـــ وهو أصح مصادرهم على الإطلاق ـــ قوله :

(إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجلٍ وسموه إماما كان ذلك لله رضا فإن خرج عليهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه ،فإن أبي قاتلوه على اتباع غير سبيل المؤمنين) "[60]" كما قال فى نفس المصدر ـــ من خطبة طويلة فى أهل الكوفة ـــ

(ولقد رأيت أصحاب رسول الله ،فما رأيت أحدا يشبههم منكم ،كانوا يصبحون شعثا غبرا ،ويقبضون على مثل الجمر من ذكر معادهم ،كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ....)

وهى تزكية شاملة من الإمام علىّ لجموع الصحابة أكدتها روايات متواترة كثيرة فى كتب القوم ومنها ما نقله الطوسي ـــ أحد كبار علمائهم ـــ وأورده المجلسي فى كتابه (حياة القلوب) حيث نقل قول الإمام :

(أوصيكم فى أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ،لا تسبوهم ،فإنهم أصحاب نبيكم وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا فى الدين شيئا ،ولم يوقروا صاحب بدعة ،نعم ،أوصانى رسول الله صلي الله عليه وسلم فى هؤلاء) "[61]"

فهذه هى وصايا النبي عليه الصلاة والسلام ،ووصايا الإمام علىّ رضي الله عنه ،فعلى من يزعم اتباعه أن يتدبرها

ثانيا : وفى ضوء آل بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،فقد أثبت الشيعة فى كتبهم الشيئ الكثير عن عمق العلاقة بينهم وبين آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ،

فقد كان الذى غسل فاطمة رضي الله عنها أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضي الله عنه وهى ذاتها التى تزوجها بعد ذلك الإمام علىّ نفسه رضي الله عنهما ،فضلا على أنه كفل محمد بن أبي بكر وظل له رفيقا وربيبا حتى استشهد معه ،

---

[60] ـــ نهج البلاغة ـــ تحقيق محمد عبده ـــ الطبعة المصرية الكاملة

[61] ـــ حياة القلوب للمجلسي ـــ ج 2 ـــ ص 241 ـــ نقلا عن (الشيعة وآل البيت) ـــ إحسان إلهى ظهير

وقد شهد الإمام علىّ لأبي بكر بخير الشهادات مبثوثة ومنثورة فى كتب الشيعة ،أما فى كتب السنة فحدث ولا حرج ،

ومن شهادات الشيعة على أنفسهم ما جاء فى كتاب (الشافي) ـــ وهو أحد مصادرهم الأصلية ،قال :

(عن أمير المؤمنين عليه السلام لما قيل له : ألا توصي ؟ ،فقال : ما أوصي رسول الله صلي الله عليه وسلم فأوصي ،ولكن إذا أراد بالناس خيرا استجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم) "[62]

ولما سأله محمد بن الحنفية ولده ،عن خير الناس بعد النبي عليه الصلاة والسلام ،شهد الإمام علىّ لأبي بكر بالسبق ثم عمر ،كما ثبت عنه من ثمانين وجها رضي الله عنه أنه رقي أعوادا بالكوفة فقال بمثل ذلك وأكثر ،كما ثبت فى نهج البلاغة غضبه العنيف وبكائه على المنبر عندما بلغه أن أقواما تتناول أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بالسوء "[63]" وشهادة بقية أئمة آل البيت رضي الله عنهم للصديق فوق الحصر ،وقد أثبتها الشيعة أيضا ،

فهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول عن أبي بكر :(رحم الله أبا بكر ،كان والله بالفقراء رحيما ،وللقرآن تاليا ،وعن المنكر ناهيا ،ومن الله خائفا ،وعن المنهيات زاجرا وبالليل قائما ،وبالنهار صائما ،فاق أصحابه ورعا وكفافا ،وسادهم زهدا وعفافا) "[64]"

ويعترف الشيعة كذلك وينقلون فى كتبهم الموثوقة عندهم أن جعفرا الصادق رضي الله عنه قال ولدنى أبو بكر مرتين ، وهذا فى إشارة إلى أن أم جعفر وجدته تنتسبان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،فكان جده الصديق وهو الصادق ،وقد اعترف الشيعة بصحة هذه الرواية وصحة هذه المصاهرات علانية فى مناظرات المستقلة "[65]"

وقد جاءت عن الإمام على زين العابدين رضي الله عنه رواية بليغة ،لو تأملها أهل الفتنة لثابوا إلى رشدهم ،

---

[62] ـــ الشيعة وآل البيت ـــ إحسان إلهى ظهير ـــ فصل (آل البيت والصديق)

[63] ـــ لمزيد من التفاصيل ـــ المناظرة الكبري مع الشيعة الإثناعشرية ـــ محمد جاد الزغبي ـــ مكتبة صيد الفوائد

[64] ـــ ناسخ التواريخ ـــ ج 5 ـــ نقلا عن (الشيعة وآل البيت) ـــ إحسان إلهى ظهير

[65] ـــ مناظرات قناة المستقلة ـــ مناظرة بعنوان (تراث الإمام جعفر الصادق) ـــ الجزء الأول ـــ موقع فرسان السنة

فقد أورد الآربلي فى كتابه كشف الغمة ـــ وهو أحد مصادر الشيعة المعتمدة ـــ ما يلي (جاء نفر من أهل العراق إلى الإمام على زين العابدين فقالوا فى أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلما انتهوا قال لهم :

ألا تخبرونى من أنتم ،أهل أنتم ممن قال الله فيهم ..

[وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ] {التوبة:100}

فقالوا له : لا .. هؤلاء هم المهاجرين

فقال لهم : فهل أنتم ممن قال الله فيهم ..

[وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] {الأنفال:74}

فقالوا : لا .. بل هؤلاء هم الأنصار ..

فقال الإمام : وأنا أشهد أنكم لستم ممن قال الله فيهم ..

[وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] {الحشر:10}

قوموا عنى .. ثم طردهم ووبخهم) "66"

ثالثا : أما عمق العلاقة من حيث المصاهرات ،فعائشة رضي الله عنها هى بنت أبي بكر تزوجت من النبي عليه الصلاة والسلام ،وأسماء بنت عميس كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ،وهو ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام فلما مات عنها تزوجها أبو بكر رضي الله عنه ثم تزوجها الإمام علىّ رضي الله عنه .

وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر بن على زين العابدين رضي الله عنهما وقد ذكر ذلك الكليني ـــ أشهر علمائهم وصاحب الكافي ـــ تحت عنوان (مولد جعفر الصادق)

66 ـــ الشيعة وآل البيت ـــ مصدر سابق

وأم جعفر الصادق رضي الله عنه هى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ولهذا السبب قال الإمام جعفر الصادق قولته المشهورة (ولدنى أبو بكر مرتين)

والسؤال الذى يجب أن يسأله كل عاقل لنفسه ،

كيف تمت هذه المصاهرات بين آل على وفاطمة وبين آل أبي بكر ،وكلها تمت بعد واقعة الجمل ،لو كان حقا ما حدث فى الجمل عنوان خلاف بين هؤلاء القوم ،وليست عنوان فتنة حدثت رغما عنهم ؟!

وروى النبلي الشيعى فى كتابه (الدرة النجفية) قول على رضي الله عنه :

(إن محمدا ـــ يعنى محمد بن أبي بكر ـــ ابنى من ظهر أبي بكر) "[67]"

هذا فضلا على أن أئمة آل البيت رضي الله عنهم سموا أبناءهم بأسماء الصحابة وأمهات المؤمنين فكان من أبنائهم أبي بكر وعائشة وعمر وعثمان ,

وذكر الأربلي فى كشف الغمة أن الإمام أبي الحسن موسي عليه السلام كان له من الأبناء سبعة وثلاثون ولدا ذكر وأنثي وذكر من بينهم ابنته التى سماها باسم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ،"[68]" وكذلك سمى جعفر الصادق رضي الله عنه ابنته باسم عائشة رضي الله عنها ،وكذلك على الرضا سمى ابنته بعائشة ،وأيضا على الهادى سمى ابنته بعائشة ،

أى أن الله عز وجل شاء أن يكون اسم عائشة بالذات هو الشائع المتداول فى أسماء آل علىّ وفاطمة ،لعل هذه التسميات تكشف عما يحاول المغرضون إبطاله

مما يدل على عمق العلاقة ومدى الإعتزاز الذى كان يكنه هؤلاء الناس الذين شرفهم الله لبعضهم بعضا ..

فلو كان هناك مسحة غبار على تلك العلاقة الوطيدة ،فكيف جاز أن تظل العلاقة على خير ما فيها من المحبة والإكرام من الآباء حتى الأبناء ووصولا إلى الأحفاد ؟!

وقد عرض لنا أن نسأل الشيعة سؤال بسيطا ذات مرة ،ونرجو أن يتدبروه ،

---

[67] ـــ المصدر السابق

[68] ـــ المصدر السابق

فقد رأيناهم يصفون العلاقة بين آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة بغير ما كانت عليه من المودة والرحمة ،رغم أننا كشفنا فى التاريخ مدى زيف هذا الإدعاء و لم نجد إلا ما يدل على قوة العلاقة ،والتى بلغت أقصي مداركها بالمصاهرات المتكررة وتسمية الأبناء بأسماء أعلام الصحابة وآل البيت ، وهى علاقة ظلت على قوتها أجيالا وراء أجيال طيلة 150 عاما حفلت بالمصاهرات فيما بينهم

ووجدنا الشيعة كذلك تزعم لآل البيت أصحابا من عينة زرارة بن أعين وشيطان الطاق وجابر الجعفي ،رغم أننا لم نعثر على بادرة واحدة توحى بهذه الصحبة بل على العكس امتلأت كتب الشيعة بالشهادات السلبية من أئمة آل البيت تجاه هؤلاء الرواة الكذابون ،و لم نعثر على مصاهرة واحدة تؤكد هذه الصحبة أو تسمية أو تيمن بأسماء هؤلاء عند هؤلاء ؟!

فكيف وعلى أى وجه من المنطق بنت الشيعة أقوالها فى هذا الشأن ؟!

ونكتفي بهذا القدر للتدليل على مكانة وقوة العلاقة بين السيدة عائشة رضي الله عنها وبين على وفاطمة وأبناءهما رضي الله عنهم جميعا ..

الفصل الرابع ..
الافتراءات على أم المؤمنين في كتب الشيعة

من أهم العناصر التي يجب توافرها في أي قضية ..

أن تتم المعالجة بالنظر إلى أصل الموضوع وعدم الانشغال بالفروع ، ووفقا لهذا المقتضي فإن قضية التعرض والتهجم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، من جانب علماء الفكر الدخيل وأعوانهم تتخذ أشكالا ثلاثة ..

وكل هذه الأشكال تعتمد اعتمادا مطلقا على فكرة واحدة ، وهى جهل العامة أو غير المتخصصين بمبادئ علم الحديث والرواية ، هذا العلم الذي تحمل عبء نقل الشريعة من قرآن وسنة إلى الأمة جيلا بعد جيل .

ولهذا يعتمد علماء الأمة ودعاتها اليوم بمحاولة تبسيط المفاهيم الأولية لعلم الحديث لدى العامة والمثقفين حتى يكونوا على بينة من أمر الشبهات والافتراءات التي ينثرها المبطلون وهم على ثقة من أن رد هذه الشبهات والمفتريات يتطلب جهدا ووعيا ليس من السهل توافرهما على الدوام "[69]" .

[69] ـــ شرح تلبيس إبليس لابن الجوزى (الجزء الأول) ـــ محمد جاد الزغبي ـــ مكتبة صيد الفوائد الإسلامية

وأشكال الهجوم الثلاث ــ التي نوهنا عنها ــ تتلخص فيما يلي :

الشكل الأول : المفتريات التي توجد في مصادر كتب الشيعة الأصلية والفرعية ، وهى الروايات المفتراة الواردة في كتب القوم منذ خروج التصانيف الأولى لعلمائهم من أمثال كتاب (سليم بن قيس) وكتاب (الكافي) أول وأعظم مجاميعهم الحديثية وبقية كتبهم الثمانية التي تنتهي بكتاب (مستدرك الوسائل) للنورى الطبرسي .

وهذه المفتريات هى ما تضلل عوام الشيعة الذين يثقون في كونها تراث أهل العلم ، فضلا على أنها تساهم في تضليل أهل السنة أيضا ممن لا يميزون المصادر من حيث التوثيق .

الشكل الثاني : شبهات ــ والشبهة تختلف عن الافتراء في كونها تتعلق بفهم سقيم لحادثة صحيحة ــ وردت في مصادر أهل السنة وهى أحاديث صحيحة ولكن الآفة من الفهم السقيم المتعمد الذى يستخدمه المغرضون في لي أعناق النصوص للخروج بما يعضد اتهاماتهم لأعلام الأمة .

الشكل الثالث : مفتريات أوردها أهل السنة في كتبهم وهى تشمل بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتى لا أصل لها ، حيث يعمد هؤلاء القوم إلى الاحتجاج بمجرد ورودها في كتب السنة الكبري متجاهلين- عن عمد- التنبيه على حكم أهل السنة في تلك الروايات بالوضع ، حيث انفرد أهل السنة بمبانى علم الحديث وبالنقد الحديثي للتراث الإسلامى وتمييز الصحيح من السقيم في تصانيف بديعة كانت ــ ولا زالت ــ عنوان شرف لأهل السنة وأمة الإسلام .

وببساطة ،

فإن التصدى لأشكال الهجوم السابقة يتلخص في نشر المبادئ البسيطة لعلوم الحديث وفن المصطلح حتى يتنبه العامة والقراء إلى حقيقة المنهج الذى يتبعه الشيعة والرافضة في احتراف الكذب الذى يعتبر من أصول دينهم ، وبالنسبة للشكل الأول ــ والذي نفرد له هذا الفصل ــ فالتصدى له لا يعنى الاهتمام بالمفتريات والرد عليها باعتبارها من الشبهات لأن الشبهة تتطلب أصلا صحيحا وهو ما يفتقده الافتراء بطبيعة الحال ، والشبهات تحتاج شرحا وبيانا بعكس المفتريات التي يكفي فيها إظهار عوار التزييف والتزوير .

ولهذا فالواجب على العلماء والدعاة وحملة الأقلام ألا يضيعوا الوقت في شرح الافتراءات الواردة في كتب الشيعة ، ويكتفوا فقط ببيان الخواء الهائل الذى تعانيه كتب الشيعة من علم الحديث

فهذا البيان وحده كاف لهدم الاحتجاج والاقتناع بأى مصدر شيعي مهما كانت قيمته عند الشيعة ، إذ أن هدم البنيان الفكرى لكتب الأصول معناه بالتبعية إسقاط كافة علماء الشيعة قدامى ومعاصرين لأن المعاصرين يستقون ممن سبقهم .

ولهذا فسنخصص هذا الفصل لتعريف القارئ بانعدام المصداقية والتوثيق وأمانة النقل في كافة مصادر الشيعة الكبري ، وإقامة الأدلة العلمية الكافية على ذلك ، وهو ما يكفي لإسقاط أى افتراء يتصدره استشهاد بإحدى كتبهم .

أما بالنسبة للشكلين الأخيرين من أشكال الصراع ـ وسنخصص لهما فصلا مستقلا ـ فسيحتوى على منهج علماء الشيعة في الاستشهاد بكتب أهل السنة وبيان تعمدهم لى أعناق النصوص الصحيحة ، والكذب الصريح في النصوص الموضوعة التي يستشهدون بها على أهل السنة بينما أهل السنة جمعوا تلك النصوص وأسقطوها عن الإعتبار ونصوا على ذلك صراحة

الإفتراءات في كتب الشيعة :

تعج كتب الشيعة الأصلية ، وبقية كتب معاصريهم بعشرات من أوجه التهجم والإتهام والبذاءات الموجهة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغيرها من أعلام الإسلام ، بل تعج تلك الكتب بما هو أفدح ، وهو ما يتمثل في الروايات التي تُسقط الاعتبار – إن صدقت – عن آل البيت الذين يدعون فيهم العصمة والإتباع ، بينما آل البيت – شرفهم الله تعالى– كانوا جميعا من أهل السنة ما سمع أحدهم قط بتلك العقائد التي تم بلورتها في العهود اللاحقة عليهم .

والمعاصرون – أصحاب الإفك الجديد– إنما يعتمدون أمام أتباعهم على ما ترويه كتبهم باعتبارها المصدر الرئيسي للتشريع حيث تحتوى – كما يزعمون – على تراث الأئمة الإثناعشر وهى أحاديث فاق عددها مئات الألوف تحتوى مختلف تلك التجنيات كأحد الأسس الرئيسية عند الشيعة .

وعن الكتب الثمانية المعتمدة جاءت الكتب الأخرى التي اتخذتها مصدرا رئيسيا ، أى أن الكتب الثمانية هى الدائرة الأصلية لسائر كتب وأفلاك الشيعة فيما بعدها ، وهذا التراث الذى تظن عامة الشيعة أنه موجود ومحفوظ بكتب علمائهم ، يعتبر هو المصدر والمحك الذى يعتمد عليه علماؤهم المعاصرون فيما يدعون إليه العوام الغائبين عن حقيقة مذهلة بشأن تلك الكتب ؛ وهى أن الأصول الثمانية الكبري والتى هى أساس العقيدة الشيعية والرافضية ، هى أصول مختلقة بالكامل ، بل إن المذهب الجعفري لم تعرفه كتب الشيعة أصلا و لم تنقل عن جعفر الصادق شيئا من تراثه الحقيقي المحفوظ والمبثوث في كتب أهل السنة بالأسانيد الصحيحة "[70]".

فتلك المرويات الهائلة التي ينسبونها إلى النبي عليه الصلاة والسلام والأئمة ــ وأبرزهم جعفر الصادق رضي الله عنه ــ مكذوبات وموضوعات دون أدنى شك ، فإذا ثبت أمام القارئ هذا الأمر ، كان من السهل عليه أن يدرك من أين أتى الشيعة بروايات السب والطعن والإنتقاص من فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وهى واحدة من ثلاث

[70] ــ أثبت هذه القضية الدكتور المجاهد طه الدليمى ــ فى كتابه (أسطورة المذهب الجعفري) ــ إصدارات موقع القادسية

شخصيات حازت قصب السبق عندهم في كثرة وغزارة الإتهامات والإساءة والتكفير والأحقاد .

والعامل المشترك بين هؤلاء العظماء أن كل منهم كان ركنا في هدم إمبراطورية الفرس وإقامة دولة الإسلام ، فلا شك أن الروايات التي تمسهم مصدرها فارسي كرُواتها وهم جميعا من الفرس ، وعن الفرس تورطت بعض جماهير المسلمين في هذا الشرك الذى يستهدف أبطال ومؤسسي دولة الإسلام أولهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وثانيهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت أم المؤمنين – رضي الله عنها– ثالثتهم ؛ فعمر رضي الله عنه ، هو فاتح فارس ومقوّض نار المجوسية ، وأبو بكر هو خليفة النبي عليه الصلاة والسلام وهو أول من بدأ بحمل المعول في هدم إمبراطورية فارس ، وعائشة رضي الله عنها هى بنت أبي بكر وزوج النبي عليه الصلاة والسلام وهى التي حملت للمسلمين ربع شريعة الأحكام دفعة واحدة !

فكما ذكر الحاكم النيسابورى في المستدرك وذكر العلماء أن أحاديث الأحكام التي روتها السيدة عائشة رضي الله عنها تبلغ ربع جملة أحاديث الأحكام جميعا ! "[71]"

ومن خلال التمثيل ببعض تلك المفتريات التي تناولت الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها ، سيثق القارئ أن هذا الكلام المنسوب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وأئمة آل البيت إن هو إلا إفك مفترى عليهم وهم جميعا منه براء ..

إذ أن ثبوت الإفتراء الذى تحدثنا عنه لا يتضح فقط في انعدام المصدر والأصل الصحيح المسند إلى الأئمة ، بل يتبدى أيضا لكل عاقل أمام المتون التي تعج بأمثال البذاءات والخرافات التي لا تصدر عن مسلم فضلا عن كونها تصدر من أحد أمراء ووجهاء آل البيت رضي الله عنهم ، ومن هذه المتون التي تقشعر لها جلود المؤمنين هذه الأمثلة :

أولا : أورد الطبرسي ـــ واحد من كبار علماء الرافضة ـــ في كتابه الإحتجاج رواية طويلة نسبها للإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه عن طريق جعفر الصادق رضي الله

[71] ـــ حرب خاسرة ضد أم المؤمنين ـــ فيلم وثائقي لقناة صفا الفضائية بمشاركة جمع من العلماء

عنه وبرأهما من هذا الإفك ، وفيها ينزع فضل أمومة المؤمنين عن عائشة رضي الله عنها ، وجاء في آخر تلك الرواية قوله :

(فقلت: يا مولانا وابن مولانا روي لنا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه إلى أمير المؤمنين، حتى انه بعث يوم الجمل رسولا إلى عائشة وقال:

انك أدخلت الهلاك على الإسلام وأهله بالغش الذي حصل منك، وأوردت أولادك في موضع الهلاك بالجهالة، فان امتنعت وإلا طلقتك.

فاخبرنا يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فوض حكمه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال:إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله فخصهن لشرف الامهات فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :يا أبا الحسن ان هذا شرف باق مادمن لله على طاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها من الأزواج، وأسقطها من شرف أمية المؤمنين) "[72]"

وهذا مجرد نموذج للحقد الدفين الذى يرغب فيه أصحاب هذه الرواية في نزع الشرف الثابت بأمومة المؤمنين عن عائشة رضي الله عنها ، رغم ثبوته بالقرآن ، وكون النبي عليه الصلاة والسلام توفي عنها وهى زوجته !

وأمارات الوضع أوضح من أن نتعرض لها ، لا سيما وأن هذه المتون سنرى كيف أنها مفتراة بالكامل ، وبنظرة واحدة إلى ألفاظ الرواية تشي بأنها ليست من لغة العرب حيث الفصاحة والجزالة ، فقد جاء وصف الأمومة بوصف آخر هو (الأمية) وهذا خطأ لغوى لا يقع فيه طالب علم فضلا عن جبل اللغة على بن أبي طالب رضي الله عنه !

ثانيا : جاء في بحار الأنوار للمجلسي ــ وهو أحد المصادر المعتمدة ــ اتهام صريح للسيدة عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنهما سقتا النبي عليه الصلاة والسلام سما تسبب في وفاته وأنهما وأبويهما ــ رضي الله عنهما ــ من شر خلق الله ! "[73]"

ثالثا : جاء في حق اليقين للمجلسي أيضا رواية نصها :

---

[72] ــ الإحتجاج للطبرسي ــ الجزء الثانى ــ ص 272 ــ مركز الأبحاث العقائدية (شيعي)

[73] ــ بحار الأنوار ــ المجلسي ــ الجزء 6 ــ ص 504 ــ برنامج المعجم الفقهى للشيعة

(وعقيدتنا في التبرئ : أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، ومن النساء الأربع: عائشة وحفصة وهند وأم الحكم ومن جميع أتباعهم وأشياعهم ، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض ، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرئ من أعدائهم)"[74]".

رابعا : وصف الطوسي وهو عمدتهم فى العلماء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالكفر والنفاق والإصرار على حرب الإمام على رضي الله عنه ! "[75]"

خامسا : نقل المجلسي فى واحدة من مفترياته تلك الرواية البغيضة "[76]"

(قال علي سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له خادم غيري وكان له لحاف ليس له لحاف غيره ومعه عائشة وكان رسول الله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره فاذا قام الى صلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا)

هذا بخلاف عشرات الروايات الأخرى التي تحمل الإفك المبين ما تحمل وتعج بها كتب القوم الأصولية ،

وعن هذه المصادر استقي المعاصرون كافة مفترياتهم ، فصنف حافظهم رجب البرسي كتابا كاملا في قدح أم المؤمنين حشاه بمختلف هذه الروايات ، كما أفرد الخومينى ـــ إمام العصر عندهم ـــ في فتاواه وكتبه فقرات كاملة تحدث فيها عن أم المؤمنين رضي الله عنها وعن طلحة والزبير وغيرهم من كبار أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام "[77]" .

ومن هذه المصادر اعتمد الباحثون المعاصرون من الرافضة في إصدار عشرات الكتب والكتيبات والمقالات والبحوث وتوزيعها بالمجان وهى تحتوى على مختلف المطاعن ضد أم المؤمنين مستقاة من مصادرهم ، وكان توزيعهم لتلك النشرات كثيفا في الأقطار الإسلامية التي لم تحتك بالعقائد الرافضية وتجهل جماهيرها بل ومثقفوها حقيقة هذه المصادر ويظنونها من مؤلفات علماء الإسلام اعتمادا على التشابه أو الجرس الموسيقي لأسماء المصادر ! ..

---

[74] ـــ حق اليقين ـــ المجلسي ـــ ص 519 ـــ المكتبة الإليكترونية

[75] ـــ الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد ـــ الطوسي ـــ ص 361 وما بعدها

[76] ـــ بحار الأنوار ـــ مصدر سابق ـــ الجزء 40 ـــ ص 2

[77] ـــ الخمينى (كبيرهم الذى علمهم السحر) ـــ محمد جاد الزغبي ـــ مكتبة صيد الفوائد

وقد عانت مصر ودول المغرب العربي كثيرا من تلك النشرات والكتيبات التي تنقل عن مصادر الشيعة ولا توضح كنه شيعيتها ولا تبين شيئا من ذلك ، بل تتعمد أن تذكر أسماء كبار علماء الرافضة على أنهم من أهل العلم والسنة ، فضلا على جهل العوام في الأصل بمرجعية الشيعة وطبيعة كتبهم "78".

ولا شك أن هذا الأمر له أثره الفادح على معظم الذين لا يعلمون شيئا عن مرجعيات الرفض وطبيعتها وميزانها العلمى ! خاصة والمكتبات المصرية الكبري تورد بعض الطبعات للكتب الأصولية عند الشيعة مثل مكتبة الإسكندرية على الإنترنت التي تحتوى على كتاب الكافي في طبعة إلكترونية وأخرى مطبوعة وتصنفها باعتبارها من الكتب الدينية !

وآخرون من أصحاب المكتبات حسنى النوايا يقومون بتوزيع بعض تلك الكتب لا سيما تلك التي تتعرض لمأساة آل البيت والمملوءة بالروايات المحرفة عن هذا الموضوع ، حيث يراهن مُـمَولو هذه الكتب على خلط عامة المثقفين بين علماء وكتب أهل السنة وبين غيرهم ، بالإضافة إلى رهانهم الأكبر على أن عامة المثقفين والقراء يجهلون أساسيات المنهج الحديثي ويعتبرون أن مجرد ورود رواية أو رأى في كتاب هو اعتراف مباشر من العالم ــ صاحب الكتاب ــ بصحة هذه الرواية !

وليس غريبا – مع عدم الإهتمام بالثقافة الحديثية – أن يقع عوام المثقفين في هذا المتزلق ، بعد أن وقع كبار مفكرينا في نفس المأزق عندما اعتمدوا في كتبهم المعاصرة على روايات مصادر التاريخ الأولى وأخذوا منها بلا تمييز بين صحيح وضعيف ؛ فكانت النتيجة أن راجت الروايات الطاعنة في أم المؤمنين رضي الله عنها وتم تضخيم موقعة الجمل وتضمينها العديد من الإفتراءات التي انتشرت في هذه المؤلفات ذات الأسماء اللامعة في عالم الثقافة والفكر !

فامتلأت كتب المفكر الكبير عباس العقاد والدكتور محمد حسين هيكل وخالد محمد خالد وغيرهم بروايات أبي مخنف وجابر الجعفي واليعقوبي والأصفهانى ــ صاحب مقاتل الطالبيين ــ وغيرهم من عتاة الشيعة .

---

78 ــ سفراء جهنم (حقيقة المرجعيات الشيعية المعاصرة) ــ بحث لمحمد جاد الزغبي ــ شبكة العز الثقافية

ومن هنا ..

جاءت الضرورة في التنويه عن أصل المنهج الرافضي وأصل مصادره الأولى التي سنثبت للقارئ الكريم أنها مصادر مفتراة لا أصل لها ولا توثيق ولا نقل صحيح ، بالذات عندما نقارنها بالدقة المذهلة التي تميزت بها علوم الإسناد عند السنة ، كى لا يقع أحد في ظل تلك الشبهات فيما لا يرضي الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وهو يحسب أنه يقرأ لعلماء الإسلام الثقات ، خاصة بعد أن أصبح الإهمال هو القاعدة بالنسبة لعلوم الإسلام وتاريخه العريق !

نظرة إلى علوم الإسناد عند أهل السنة

أورد هنا بعض شواهد الدقة فى التحقيق لبيان مدى الجهد والمعاناة التى تكبدها السابقون والتى لا زلت أصر على أنها جهد مستحيل حتى لو تم بعصرنا الحالى الذاخر بوسائل الإتصال العالمية ،

ففي العصر الحديث وفى وجود أدوات الإتصال مسموعة ومرئية ووجود شبكة الإنترنت التى ربطت العالم من سائر أطرافه لو أننا كلفنا باحثا للقيام بمهمة بحثية تخص موضوعا واحدا ـــ كما يحدث فى الرسائل العلمية لدرجة الماجستير والدكتوراه ـــ ووفرنا له سبل المعاونة الموجودة فإنه يستغرق فترة لا تقل عن أربع سنوات ليصل لنتيجة البحث ويقدمه كاملا ، وغالبا ما يكون البحث رغم الجهد قاصرا بموضع معين تبينه مناقشة الرسالة ، وهناك بعض البحوث في جامعات الأزهر والجامعات الإسلامية تستغرق عشرات السنين ليتم إكمالها على أفضل وجه .

وهناك من أمضي عمره كله تقريبا فى البحث بالمراجع ليتمكن من إخراج كتاب واحد ، مثال ذلك المؤرخ المعروف محمد عبد الله عنان الذى قضي قرابة أربعين عاما ليتم مؤلفه الجامع عن الأندلس { دولة الإسلام فى الأندلس } .

كل هذا الوقت فى ظل خدمات التكنولوجيا ودعم العلم التقنى الخادم لتلك الأغراض ، فلنا أن نتخيل كيف قام علماء السنة فى العصور الإسلامية الأولى بتأليف كتبهم ووضع القواعد الموثقة لعلم الحديث لا سيما فى الفرع المسمى { علم الجرح والتعديل }

والذى كانت مهمة العالم فيه أن يقوم بالتحرى الدقيق عن كل محدث أو راو أو ناقل لحديث أو قول صحابي أو تابعى ويسجل اسم الراوى وصفته وكنيته وما انتهت إليه التحريات بشأنه ليكون هذا الكتاب مرجعا لمن أراد التحقق من صحة أى رواية بمعرفة مستوى هذا الراوى .

ونعطى فكرة عن أحد أهم المؤلفات فى هذا المجال وهو (تاريخ دمشق) للعلامة بن عساكر ، فقد تمت طباعة هذا الكتاب بأسلوب الطباعة الحديثة فى حوالى 93 مجلدا، وقد احتوى هذا المرجع على ترجمة لشخصيات دمشق على ثلاثة مستويات ..

الأول : ترجمة كل رجال الحديث والرواية في دمشق والمقيمين فيها

الثانى : ترجمة كل من استقر بدمشق وكان وافدا إليها من بلد آخر ، عندئذ يقوم بن عساكر بالرحيل إلى بلده الأصلي والتحرى عنه ووضع صفته وحكمه عليه

الثالث : ترجمة لكل من مر بدمشق مجرد مرور وهو فى رحلة إلى غيرها من البلاد

وهناك أيضا كتاب (الكمال) للحافظ المقدسي الذى اعتنى برواة الحديث وقام الحافظ المزى بتهذيبه فى كتابه المعروف (تهذيب الكمال) وجاء من بعده الذهبي فزاده تنقيحا وأخرجه باسم (تهذيب التهذيب) وجاء من بعد هؤلاء الحافظ العسقلانى فزاد عليه وقدمه تحت اسم (تهذيب التهذيب)

هذا بخلاف كتب الرجال المتخصصة التى اعتنت بالضعفاء فقط مثل كتاب (الضعفاء والمتروكون) لابن حبان ومثل (ميزان الاعتدال) للعسقلانى وهناك كتب الرجال التى تخصصت فى الثقات فقط مثل (سير أعلام النبلاء) وغيرها وهناك من جمع بين المجالين مثل كتب تاريخ بن معين والبخارى وغيرهم .

ومقاييس الجرح والتعديل التى اعتمدها علماء السنة لقبول رواية الراوى صنعت حاجزا صلبا أمام دخول أى مكذوبات فى الحديث لأنهم اشترطوا لصحة الحديث كما هو فى تعريف الحديث الصحيح "[79]" :

(أن يكون بنقل العدل الضابط عن مثله إلى جميع الطبقات من غير شذوذ ولا علة)

[79] ـــ بحوث فى تاريخ السنة المشرفة ـــ د. أكرم ضياء العمرى

واشتراط عدالة الراوى هو الشرط الذى لم يكن يتهاون فيه علماء الجرح والتعديل عملا بمبدأ النظر عمن نأخذ الدين .

وينبغي التركيز على تلك النقطة بالذات لأنها نقطة الفصل بين السنة والشيعة ، أما عن قواعد اعتماد الجرح والتعديل فلم يكن الأمر يؤخذ بلا تسبيب فلابد أن يكون الجرح موافقا لعيب واضح يقره العلماء ، والأهم من ذلك أن قول العلماء فى شخص معين أنه ثقة أو أنه ضعيف أو كذاب لا يؤخذ من عالم واحد بل يؤخذ الحكم على الراوى من مجموع أقوال علماء الجرح والتعديل وهذه دلالة إضافية على دقة التحري ، فإن خدع أحد الرواة واحدا من علماء الجرح والتعديل بادعاء التقوى فلن يستطيع خداع بقية العلماء الذين سيتولون أمره .

ولو ألقينا نظرة على الأحوال التى يتم فيها جرح الراوى وعدم الأخذ بروايته لوجدنا حذرا بالغا غير مسبوق بالذات فى هذا العصر الذى لم ينتشر فيه الكذب أو النفاق ، فالراوى لا يتم رد روايته لمجرد إثبات كذبه فى رواية حديث ، بل يتم جرحه لمجرد التدليس والتدليس فى مصطلح الحديث ليس معناه الخداع والكذب بل هو مجرد أن يقول الراوى سمعت من فلان وهو شيخه بينما سمع الحديث من زميل له عن نفس الشيخ أو شيخ آخر ليس في ثقة الأول فيقوم بالتدليس مخافة رفض حديثه ، هنا يُجرح الراوى بالتدليس لأجل هذا .

بل إن أحد علماء الحديث لم يقبل حديث أحد الرواة عندما رآه يخدع بعيره فيضم ثوبه ويحركه للبعير حتى يظن أن ثوب صاحبه مملوء بالشعير لكى يأتى البعير فلا يهرب ، فرفض العالم أخذ روايته لأنه ثبت له كذبه على بعيره فاعتبرها جرحا له .

ولم تقتصر العناية عند الوقوف على أحوال الرواة فحسب ، بل كانت أحوال الرواة مجرد فرع من فروع التحقيق التى امتدت إلى نصوص الحديث نفسه بمنتهى الدقة ، فلا يوجد عند أهل الحديث التسيب الذى نعرفه اليوم من نقل دون وعى أو ذكر دون تدبر بل إن الراوى إذا خلط حرفا بحرف وهو ينقل روايته وليس كلمة مكان كلمة ، جرحه علماء الرجال باعتباره ضعيف الحفظ حتى لو حافظ على معنى الحديث ومضمونه ، بل إنهم

يتتبعون مراحل حياة الراوى أو العالم الواحد فيقال مثلا أن روايته فى سنه الصغيرة كانت أوثق من روايته بعد أن كبرت سنه ويسجلون هذا فى مراجعهم .

ولكى يتم قبول الحديث صحيحا يجب فيه أن تتوافر شروط الحديث الصحيح وهو أن يروي الحديث الثقة العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه بسند متصل من غير شذوذ ولا علة ، فهذا التعريف البسيط أجمل شروط صحة الحديث بضوابط تعجز أعلى المؤسسات عن تطبيقها !

فإن سقط فرد واحد من سلسلة السند يتم تضعيف الحديث وإن كان أحد الرواة ضعيفا وباقي الرواة على أشد الثقة تم تضعيف الحديث أيضا ، إلا إذا كان الضعف ناجما عن قلة حفظ وتم ضم هذا الراوى لغيره فيتم وضع الحديث فى مرتبة وسطية وهى مرتبة الحسن .

بالإضافة لما هو أهم ،

وهو أن المحدثين على مختلف طبقاتهم كانوا يتابعون فحص ما انتهى إليه سابقيهم من العلماء .بمعنى أن كتب غيرهم ونتائج بحوثهم فى علم الحديث لم تكن تقبلها الأجيال التابعة من العلماء قبولا تلقائيا بل كانت تتحرى عنها بنفس الطريق أو بطرق أخرى ، ولهذا فإن كتاب مثل صحيح البخارى أو صحيح مسلم برزا بروزا شديدا بين الصحاح لأن سبعة أجيال من العلماء على الأقل تعاقبت على فحصه .بمنتهى الدقة فلم يتركوا فيه حديثا واحدا دون فحص جديد ، وهذا رغم جلالة مقام البخارى كإمام أهل الحديث بلا منازع وما عُرف الإسلام مثيله فى دقة الحفظ والوعى والتحرى حتى أنه كان لا يضع حديثا فى صحيحه قبل أن يصلي ركعتين عقب إتمام فحصه والتحرى عنه ، وقام بتصنيف أحاديث صحيحه البالغة نحو أربعة آلاف حديث من فحص 600 ألف حديث كان يحفظها بأسانيدها وأحوالها عن ظهر قلب !

ولذا قبلت الأمة صحيح البخارى ومسلم وأجمعت على صحتهما عقب الحكم عليهما من أجيال العلماء المتتابعة ، ولذا عندما نجد من يطعن فى صحة حديث بالبخارى ـــ بعد كل هذا ـــ يحق لنا أن نملأ صاحب الطعن سخرية ، فهو لا يشكك فى البخارى وحده بكل دقته وعلمه بل يتجاوز إلى قرابة سبعة أجيال من العلماء تتابعت على كتابه بالفحص واعتمدته .

لا سيما أننا لو عرفنا كنه الأحاديث المطعون فيها بين الحين والآخر بالصحيحين وغيرهما من الأحاديث التى أقر العلماء بثبوت نسبتها للنبي عليه الصلاة والسلام ، هى كلها أحاديث توقف عندها العلماء وناقشوها بالفعل قبل قرون ، وليس في ما يذكر من طعون أى جديد يلفت النظر فقد استوفاها العلماء معالجة وردا ، لكن المشكلة الحقيقية أن من يطعن على تلك الأحاديث لا يكون جاهلا فقط بإجماع العلماء على مدى عصور بصحتها بل يكون جاهلا أيضا بأن شبهاته تلك تم الرد عليها فى كتب لم يكلف نفسه مطالعتها أو البحث فيها عند أهل الإختصاص "[80]".

ومن نافلة القول أن نؤكد على جهود فحص السنة زيادة التثبت فيها لم يقف حتى يوم الناس هذا ،

ففي العصر الحديث برز أحمد شاكر محدث مصر الألمعى واعتنى بمسند أحمد بن حنبل وأخرجه بشرح استغرق عمره وتلقاه العلماء بالقبول .

كذلك جهود محدث العصر العلامة الألبانى فى كتب السنن وجهده العظيم فى علم التخريج الذى ذيل به عشرات بل مئات من الكتب والمراجع الدينية المختلفة فى شتى فنون علوم الشريعة

وتقوم الآن لجنة من كبار العلماء بالسعودية على مشروع ضخم وجبار هو جمع السنة النبوية اعتمادا على الوسائل الحديثة فى الحفظ والتصنيف ليكون ميراث الأمة وانجاز علمائها محفوظا بحفظ الله على يد هذه الزمرة الطيبة برياسة العلامة المحدث عدنان عرعور ، وهذا المشروع الذى قارب الإنتهاء سيقدم خدمة جليلة لا تقدر بثمن لاحتواء التراث الحديثي الفياض بوسائل مطالعة ميسرة لطلبة العلم

هذا فضلا على الجهود الجبارة التي بذلتها المواقع الإلكترونية المتخصصة وقام بها رجال الدعوة لتيسير الوصول إلى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأعطت للباحثين خدمة لا تقدر بثمن .

---

[80] ـــ فى كتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة عدد كبير من الأحاديث التى أثار الطاعنون عليها نفس أوجه الاعتراض القديمة رغم توافر الرد الكامل عليها فى كتاب بن قتيبة الذى تم تأليفه منذ عشرة قرون وأكثر !

هذه إطلالة مختصرة للغاية على تراث أهل السنة فى علم الحديث وميراثها فيه ، وكيف أنهم أسسوه من الصفر منذ عهد بعض الصحابة وحتى تصنيف الكتب المعتبرة فى السنن والصحاح والمسانيد ،

ورأينا كيف أنهم جعلوا همهم الرئيسي جمع تراث النبي عليه الصلاة والسلام بنقل العدول بانتهاء السند إلى الصحابة رضي الله عنهم وكل هذا بمنهج تثبت لا مزيد عليه ، و لم يدعوا فنا فى هذا المجال لم يطرقوه ، وها هى الأحاديث النبوية محققة ومجموعة ومفندة ولا غبار عليها ، والآن فنلق إطلالة سريعة على موقف الشيعة من السنة ومفهومهم للسنة عندهم وكيف أخذوها وممن أخذوها ، وطبيعة تلك السنة التي تحتوى مختلف المطاعن على أمهات المؤمنين والصحابة رضي الله عنهم .

الإسناد عند الشيعة ومصادرهم الأصلية

سبق أن بينا كيف أن أهل السنة اهتموا بوقت مبكر وفى حياة أغلب الصحابة وفى عصر كبار التابعين أثناء وبعد الفتنة الكبري بالتحقيق والتدقيق فى طلب الإسناد فيما يخص توثيق السنة النبوية الشريفة ، هذا بخلاف أنهم طوروا التدقيق فى الإسناد إلى ميدان ضخم فسيح وهو ميدان علوم الحديث التى عالجت شتى مناحى النقل والرواية عن النبي عليه الصلاة والسلام واعتمدوا وأصلوا لذلك قواعد متينة حازت فيما حازت من الإعجاب على تقدير المستشرقين أنفسهم ، وهو قسم من العلوم ما سبقت إليه أمة من الأمم ولا قامت أمة نبي من الأنبياء بحفظ تراثه ونقله بتلك الدقة عبر القرون كما قامت أمة خير الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

ولسنا فى حاجة إلى إعادة بيان أهمية علوم الحديث بالذات بين سائر علوم الشريعة قاطبة ، فعلوم الحديث هى القسم الخادم الذى له منة وفضل على سائر علوم الشريعة من تفسير وفقه وأصول وليس عليه منة من أحد العلوم لأن هذه العلوم جميعها دانت لعلوم الحديث بفضل النقل الصحيح لسنة النبي عليه الصلاة والسلام ومن قبلها القرآن الكريم ، وهما المصدران الذى بذل فى نقلهما أهل النقل والرواية جهودا تفوق طاقة البشر لتقديمه إلى

أجيال الأمة جيلا بعد جيل بشكل مأمون من المكذوبات والموضوعات ، فاستقامت علوم الشريعة لأصحابها فعرفوا المصادر واطمئنوا إلى حجية الأخذ عنها .

ولنا أن نتخيل لو أن علوم الحديث أصابها أى خلل عبر القرون ، كيف كانت الأمة تستمر إلى اليوم مطمئنة إلى ثبات نسبة المصادر التشريعية إلى منابعها الأصلية ؟!

لا شك أن النتيجة كانت ستفضي إلى كارثة محققة وهى ضياع الدين كله بضياع أصوله ، على نفس النحو الذى جرى فى الأمم السابقة التى لم تعرف الإسناد والتوثيق ودقة النقل كابرا عن كابر فأضاعت رسالات رسلها وتم تحريف التوراة والإنجيل وأفضي هذا إلى ضياع عقيدة تلك الأمم فقالت النصاري بألوهية عيسي وقال اليهود بألوهية عزير .

ولا شك أن الميزة الكبري لتفوق أهل السنة فى علوم الحديث والنقل والمرويات ليست قاصرة فقط على تنوع أساليب النقل والمعالجة والفحص والتحرى ، بل الميزة الكبري هى أن تلك العلوم نشأت فى وقت مبكر جدا بمجرد ظهور فتنة وضع الأحاديث وفى حياة قسم كبير من الصحابة رضي الله عنهم وهم نقلة التشريع والسنة ، مما أعطى أهل السنة ميزة اليقين فيما نقلوه ، لا سيما وأن تطور علوم الحديث وتدوين السنة بدأ مبكرا أيضا بمصنفات مسدد بن مسرهد ومالك والأوزاعى على سبيل المثال ، بل و لم تكتمل المائة الثانية للهجرة إلا وكتب الأصول الحديثية المعتمدة لأهل السنة قد اكتمل تأليفها وهو ما يتضح بالنظر إلى تواريخ ميلاد هؤلاء الأئمة أصحاب الكتب الستة والمسانيد الأولى

الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله– مولود سنة (164) هـ

الإمام البخاري – رحمه الله – مولود سنة (194) هـ

الإمام الترمذي – رحمه الله– مولود سنة (200) هـ

الإمام أبو داود – رحمه الله– مولود سنة (202)هـ

الإمام مسلم – رحمه الله– مولود سنة (206)هـ

الإمام ابن ماجه – رحمه الله– مولود سنة (209) هـ

الإمام النسائي – رحمه الله– مولود سنة (215)هـ

كما ظهرت فى وقت مبكر نسبيا معالجات العلماء للكتب المنقولة وتصنيفهم لأسس وقواعد علم أصول الحديث ومنها علم مصطلح الحديث وهو واحد من أخطر علومه

حيث يختص بمعالجة المصطلحات العلمية التى تعارف عليها أهل الصنعة لتمييز الأحاديث ونقدها ، فقسم علماء السنة الحديث إلى عدة تقسيمات أصولية تتفرع إلى تقسيمات متعددة .

وكان أول مصنف فى هذا المجال هو مصنف العلامة الرامهرمزى المتوفي عام 360 للهجرة وتتابعت بعده المصنفات فى هذا المجال وغيره عبر العصور .

ومن قبلها ظهرت علوم الرجال وكتب النقد الحديثي وامتدت فيما بعد هذه الفترة أيضا كتب النقاش حول الأحاديث المختلف فيها وبلغوا من الدقة أنهم أفردوا مصنفات كاملة وقاموا برحلات مضنية لمجرد إثبات حديث واحد ، هذا فضلا على عنايتهم بإبراز ناسخ ومنسوخ الحديث وكان أول من تكلم فى ذلك المجال الإمام الشافعى.

فإذا حملنا هذا التاريخ وتلك المعجزات العلمية إلى مجال السنة عند الرافضة ،فماذا سنجد ؟ وكيف حفظ هؤلاء السنة والدين الذين يزعمون أنهم تلقوه عن أئمة أهل البيت ، فى البداية الشيعة قاطبة –ـــ كعادة أهل البدع جميعا- لا علم لهم بالحديث والإسناد على طول الخط ، وليس هذا الحكم من قبيل الحكم الذى قرره عليهم أهل السنة بل هو من قلب كتبهم مشهور ومتواتر .

هذا فضلا على الطامة العظمى ، وهى أنهم اعتبروا الصحابة رضوان الله عليهم جميعا عدا ثلاثة أو خمسة أو سبعة ، منافقون كفار ، وبالتالى رفضوا منقول الحديث عنهم ، وتكفيرهم لعموم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام مقرر فى أمهات كتبهم بل وفى أعظمها بعدة أبواب ـــ لا أحاديث منفردة ـــ

ومنها الكافي أهم مرجع حديثي لديهم "[81]".

وبالتالى فقد اختصوا أئمة آل البيت الإثناعشر بأنهم مصدر التشريع الوحيد ولهذا فهم يرفضون السنة المنقولة عن طرقنا نحن أهل السنة ولا يعتبرون الصحابة مسلمين أساسا فضلا على أن يعتبروهم عدولا يؤخذ الدين عنهم ، وليت أنهم ما قبلوا توثيقنا نحن أهل السنة للصحابة بل رفضوا إقرار عدالة الصحابة التى أنزلها الله عز وجل فى كتابه العزيز بآيات محكمات سبق أن عرضنا بعضها .

---

[81] ـــ بوب الكليني فى الكافي بابا كاملا بهذا المعنى !

فماذا كانت النتيجة ؛ النتيجة أنهم فى البداية فقدوا القرآن الكريم الذى هو المصدر الأول للتشريع نظرا لأنه فى عقيدتهم محرف ،هذا فضلا على أنهم لم ينقلوه لا بالتواتر ولا حتى بسند آحاد من طرق المعصومين الاثناعشر ،وليس لديهم أى إسناد بالقرآن من أى وجه ، وهذا الأمر بالذات كان من الأمور التى فضحت علانية حقيقة اعتقادهم فى القرآن الكريم لأن القرآن الكريم منقول بالتواتر من طرقنا ونحن كفار عندهم بدليل أنهم لا يأخذون بسنتنا فكيف يقبلون القرآن منا ويرفضون السنة ؟!

وأما عن السنة وهى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم فلم يقصروها على النبي عليه الصلاة والسلام وحده بل جعلوها مختصة بالمعصومين الاثناعشر جميعا ، فكلهم عندهم أهل عصمة وتبليغ وكلهم بمنزلة النبي المرسل وأصحابهم كصحابة النبي عليه الصلاة والسلام بل أفضل ، لأن أصحاب الأئمة لم يكفروا عندهم بينما كفروا أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وليت أن الأمر اقتصر على ذلك ، فلو أنهم نقلوا سنة النبي عليه الصلاة والسلام نقلا صحيحا بطريق العدول من الرواة إلى الأئمة إلى النبي عليه الصلاة والسلام بسند متصل لهان الأمر ، لكن الكارثة أنهم لم ينقلوا من سنة النبي عليه الصلاة والسلام شيئا قط !

وقد طالبهم العديد من العلماء عبر المناظرات أن يأتوا لهم من كتبهم بحديث واحد صحيح – على شروطهم هم – من كتبهم متصل السند إلى النبي عليه الصلاة والسلام فعجزوا .

والسؤال الآن ،من أى مصدر جاءت الكتب الأصلية التي عليها مدار الدين عند الرافضة؟!

وإذا وجهنا السؤال سنجد الإجابة بأنهم أخذوا الدين عن الأئمة ، وسنجاريهم فى هذا القول رغم فداحة المصيبة فى أنهم لا يملكون من تراث النبي عليه السلام شيئا ، فهل تمكنوا من نقل سنة المعصومين وأقوالهم نقلا صحيحا ؟!

هذا ما سنراه بعد قليل

علوم الحديث عند الشيعة ،

عندنا فى علوم الحديث قاعدة ذهبية تقول (لولا الإسناد لقال من شاء بما شاء)

وتفسيرها ببساطة ،أنه لولا الإسناد والتوثيق لقال كل صاحب هوى ما أراد وضاع الدين، فمن السهل على أى مدعى أن يقول قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ثم يخترع من رأسه أى حديث

فما الذى يمنع ذلك ، لا شك أن المانع الرئيسي هو الإسناد والسؤال من أين لك هذا الحديث ومصدره .

فهل استطاعت الشيعة الاثناعشرية أن تصل لتراث الأئمة الإثناعشر بالأسانيد الصحيحة المتصلة ، بداية ـــ وهى المفاجأة الكبري ـــ لم تعرف الشيعة الاثناعشرية عبر عصورها شيئا من علوم الحديث إطلاقا قبل القرن العاشر للهجرة !

يقول شيخهم الحائري فى ذلك ، بكتابه مقتبس الأثر ـــ ص 73 ـــ الجزء الثالث :

(ومن المعلومات التي لا يشك فيها أحد أنه لم يصنف في دراية الحديث من علمائنا قبل الشهيد الثاني)

والشهيد الثانى هو أبو الحسن العاملى المتوفي عام 975 للهجرة !

هل تدركون ما معنى هذا الكلام ؟!

معناه ببساطة أن الشيعة كانت فى نوم طويل فاق نوم أصحاب الكهف منذ عهد الأئمة الذي انتهى عام 250 للهجرة وحتى القرن العاشر دون يصنفوا أو يعالجوا شيئا من علوم الحديث التى عليها معول وضمان صدور الروايات المنقولة عن الأئمة !

أما الأنكى ، وهو ما يعد فى حد ذاته مأساة مبكية ، أنهم لم يصنفوا فى ذلك التاريخ شيئا من علوم الحديث تحت ذريعة تنقية تراث الأئمة أو لتحقيق المرويات الرهيبة الموجودة فى كتبهم المنقولة دون إسناد أو تحقيق ، بل كان السبب الوحيد الذى دعاهم إلى تصنيف الكتب هو تلافي تعيير أهل السنة لهم بأن الشيعة لا يعرفون الإسناد وينقلون الروايات دون أى إثبات .

لأجل هذا السبب فقط ولدفع كف النقد عنهم قام علماؤهم بتأليف تلك الكتب التى تتخذ من جانب المظهر فحسب علوم الحديث لكنها فى الواقع مجرد ألفاظ يظهر منها

الإسناد لكنه ليس إسنادا حقيقيا له أرضية من الواقع ، ودليل ذلك ما نقله الحر العـــاملى أحد محدثيهم الكبار عن هذا الأمر فقال فى وسائل الشيعة (30 / 258) :

(والذي لم يعلم ذلك منه ، يعلم أنه طريق إلى رواية أصل الثقة الذي نقل الحديث منه ، والفائدة في ذكره مجرد التبرك باتصال سلسلة المخاطبة اللسانيّة ، ودفع تعيير العامة الشيعة بأن أحاديثهم غير معنعنة ، بل منقولة من أصول قدمائهم)

وممن نقل هذا الإقرار أيضا :

الشيخ باقر الأيرواني فى كتابه (دروس تمهيدية في القواعد الرجالية ص 86) :

(السبب في تأليف النجاشي لكتابه هو تعيير جماعة من المخالفين للشيعة بأنه لاسلف لهم ولا مصنف) ،

وقال الحر العاملي فى المصدر السابق :

(أن هذا الاصطلاح مستحدث ، في زمان العلامة ، أو شيخه ، أحمد ابن طاوس ، كما هو معلوم ، وهم معترفون به)

بل اعترف الحر العاملى بما هو أفدح فقد صرح أنهم ليسوا فقط لا علـــم ولا لعلمـــائهم القدامى بالحديث ونقله ، بل اعترف أن الإصطلاح الجديد وهو علوم الحديث والعنعنـــة مأخوذ من قلب كتب أهل السنة !

قال الحر العاملي (وسائل الشيعة (30 / 259) :

(طريقة المتقدمين مباينة لطريقة العامة ، والاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد العامة واصطلاحهم ، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع وكما يفهم من كلامهم الشيخ حسن وغيره) ، ويقصد بطريقة المتقدمين علماؤهم الأوائل أصحاب الكتب المعتمدة الذين كانوا يوردون فى كتبهم كل ما يصل إليهم فيتلقاه عنهم من بعدهم بالقبول هكذا بلا مرجعية أو ضابط .

أما سرقاتهم من كتب أهل السنة :

فهذا ما يؤكده مصنفوا الإمامية فى مصطلح الحديث وكشفه الشيخ عثمان الخميس "[82]" فى مناظرات قناة المستقلة عندما قارن بين أحد كتب المصطلح عند الشيعة وبين كتاب

[82] ـــ مناظرات المستقلة ـــ مناظرة بعنوان (تراث الإمام جعفر الصادق) ـــ موقع فرسان السنة

(مقدمة بن الصلاح) أحد أشهر كتب المصطلح عندنا فإذا بالكتاب الشيعي نسخه شبه متطابقة فى أبوابه ومعالجته

أى أن كل الفائدة التى وقفت وراء وضع أسلوب العنعنة فى المرويات (وهو الإسناد) هو فقط اتخاذ مظهر الإسناد لمجرد التبرك بإسناد الرواية إلى الأئمة ودفع تعيير أهل السنة للراوفض أن يروون المكذوبات غير المسندة ، ففعلوا مثل الذى كان يطمح أن يكون عالما بالأزهر ، لكنه عجز عن مجاراة طلبة العلم فى ذلك ، فماذا فعل ، اشترى اللباس الأزهرى المميز للعلماء وقدم نفسه باعتباره عالما وظن بذلك أنه اكتفي ووفي !

فالإسناد ليس أن تورد الرواية بالعنعنة ، بل أن توردها بسندها الفعلى وأن يكون هؤلاء الرواة هم فعلا من قاموا بروايتها هذا فضلا على أن يكون الرواة من الثقاة العدول المأمونين فى نقل المرويات ،

لكن هذا كله لا تجده فى مذهبهم بل إنهم عندما اشترطوا شروطا لقبول الروايات لم يطبقوها على كتبهم ،

فالحديث الصحيح عندهم كما عرفه الحر العاملى :

(هو الحديث الذى يرويه الضابط الإمامى عن مثله إلى منتهاه)

بينما تعريف الحديث الصحيح عندنا : (هو الحديث الذى يرويه العدل الضابط عن مثله فى جميع الطبقات من غير شذوذ ولا علة)

والمقارنة بين التعريفين تكشف عن كثير :

الأولى : أنهم لم يشترطوا عدالة الرواة ! ، بمعنى أنهم يقبلون رواية الكافر وفاسد المذهب والمطعون فى عدالته ، وهذا ما نص عليه صراحة الحر العاملى فى وسائل الشيعة حيث قال فى توثيق رجال الشيعة

(فتراهم يوثقون من يعتقدون كفره وفسقه وفساد مذهبه !) وبمثل ذلك صرح المرجع المعاصر الخوئي زعيم مرجعية النجف السابق فى كتابه الرجال حيث صرح بقبول رواية

الشخص بغض النظر عن اعتقاده بل صرح بقبول رواية النواصب والنواصب عندهم كفار أنجاس وشر من اليهود والنصاري .

الثانية : أنهم لم يشترطوا فى الحديث الصحيح ضرورة خلوه من الشذوذ أو العلل ، ومعنى الشذوذ عدم مصادمة الرواية الصحيحة لما هو أصح منها أو مخالفة الروای الثقة لمن هو أوثق منه وعند التصادم يتم رد الرواية الأقل صحة إذا استحال الجمع بينهما ، ومعنى العلة ألا تحتوى عيبا ظاهرا كمنافاتها الواضحة لقاعدة أساسية فى الشرع أو مضاربتها للعقل والنصوص أو العلة الخافية قادحة الإسناد .

ولهذا امتلأت كتب الشيعة بآلاف الروايات التى لا يقبلها العقل قبل النقل وتعتبر من الخرافات التى يخشي التفوه بها المجنون قبل العاقل ويزخر كتاب الكافي – وهو أعظم كتبهم – بعشرات الروايات فى هذا الباب ، هذا فضلا على التصادم المروع الذى يجمع بين أحاديث الأئمة وبعضها البعض بل بين أحاديث الإمام الواحد منهم ، فترى الإمام يقول بقول معين ثم ينقضه فى قول آخر ومع ذلك فكلا الروايتين معتمدة ، ولم يجدوا حلا لهذه الإشكالات إلا الذريعة الجاهزة وهى أن الرواية المتضاربة هى رواية على التقية !

ولم يبينوا أو يؤصلوا قاعدة واحدة تمكنهم من تمييز الروايات أيها على التقية وأيها على الحقيقة بل جعلوا الأمر مطلقا مما أدى بهم فى النهاية إلى إراحة أنفسهم من الصداع فقالوا بأن الحكم على الأحاديث بالصحة والبطلان غير مرهون بقول فقيه أو مجتهد بل هو أمر مطلق !

مما أدى بالتبعية إلى عشرات الآلاف من التناقضات بين علمائهم فى تصحيح وتضعيف الأحاديث وبالتالى أدى إلى خراب كامل فى أصول الدين التى تعتمد الفتاوى فيها على صحة المرويات التى جعلوا تصحيحها رهنا بالمزاج .

يقول فى هذا الشأن الفيض الكاشانى صاحب أحد كتبهم المعتمدة فى الوافي :

(تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين قولا أو ثلاثين قولا أو أزيد !! بل لو شئت أقول: لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا فيها أو في بعض متعلقاتها)

يختلفون فى المسألة الواحدة على عشرين أو ثلاثين قولا !

بل ولا توجد حتى فى الفرعيات عندهم مسألة واحدة محكومة بقول نافذ قطعى هذا فضلا على اختلافهم فى الأصول !

ولهذا ظهرت عند الشيعة مدرستان كفّرت كل منهما صاحبتها رغم أنهم تحت مظلة عقيدة واحدة ، وهما مدرستى الإخباريين والأصوليين ، فالإخباريون يقولون أن الكتب الحديثية الثمانية المعتمدة كلها صحاح لا لبس فيها وليس فيها رواية وحيدة باطلة بما في ذلك الألفي رواية الواردة فى تحريف القرآن

والأصولية تقول أن مضامين تلك الكتب هى المقطوع بصحتها والكتب نفسها تحتوى أحاديثا ضعيفة لكنهم ما وضعوا القواعد لتنقيه هذا التراث الذي يعتمد عليه دينهم فيما يزعمون ،

أما سبب عدم إخضاعهم الكتب الأصلية للتحقيق النهائي فسنعرفه بعد قليل .

الأزمة الكبري

كتب الحديث التى نقلت تراث الأئمة عند الشيعة الإثناعشرية ثمانية كتب معتمدة وهى أصول المذهب والطائفة وعليها تم بناء أساسه وعقيدته ، وهذه الكتاب منها أربعة كتب متقدمة ، وهى للمحمدين الثلاثة : محمد الكليني، ومحمد الصدوق، ومحمد الطوسي ، وهي

(الاستبصار ، ومن لا يحضره الفقيه ، والكافي ، والتهذيب)

وباقي الاربعة هي للمجلسي والنورى الطبرسي (صاحب كتاب فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب) والطبرسي (وهو غير النورى الأول) والفيض الكاشانى ، وكتبهم هى :

(بحار الانوار و مستدرك الوسائل الإحتجاج والوافي)

هذه الكتب التى أطبق علماء الشيعة على صحة مضامينها ، ومعنى صحة مضامينها أن المحتويات والمعارف الواردة فيها كل مقطوع بصحتها ، وكتبهم قديما وحديثا مليئة بالإشادة لتلك الكتب والإعلاء من شأنها لدرجة مذهلة ، لا سيما كتاب الكافي للكلينى الذى ألفه صاحبه فى الغيبة الصغري للمهدى المزعوم ، وذكر فى مقدمته أن هذا الكافي تم عرضه على المهدى فقال (كاف لشيعتنا) وهذا معناه أن الكافي صحيح حتما وإلا كيف وثقه المعصوم ؟!

وقد شهدت للكافي ولغيره كبار مرجعيات الشيعة وآخرهم عبد الحسين شرف الدين وهو واحد من أعلامهم فى القرن الماضي حيث قال فى كتاب المراجعات أن هذه الكتب مقطوع بصحة مضامينها وأن الكافي أعظمها وأشرفها وأعلاها و لم يصنف فى الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه !

وبعد هذه الشهادات الكبري من المعصوم وإجماع علماء الإمامية على توثيق مضامين تلك الكتب ، نجد أنهم خرجوا علينا فى العصر الحديث بقول بالغ الغرابة ، هذا القول مؤداه أن الشيعة لا تملك كتابا واحدا صحيحا !

وأن كل كتبهم ليس من بينها كتاب واحد بلغ درجة الصحة فى محتوياته كلها ، وهو قول على التقية وللمراء والخداع بطبيعة الحال ، لماذا ؟

لأنهم لو أقروا بأقوال وشهادات علمائهم بحق الكتب الكارثية لافتضحوا فى مشارق الأرض ومغاربها ، فالكافي أصح الكتب عندهم فيه من البلايا والطامات ما يستحى منه اليهود والنصاري أن ينسبوه لأنبيائهم ، من أول التواتر فى روايات تحريف القرآن والإعتقاد الجازم بها ، ومرورا بعقائد الرجعة والبداء وأن الأئمة يسيطرون على الكون وأنهم أسماء الله الحسنى وأن الله فوض أمر الخلق إليهم ووصولا إلى التكفير الجماعى لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام .

لهذا لم يجد الشيعة مفرا من إنكار صحة كل ما بالكافي حتى لا يلزمهم أهل السنة بل وعوام الشيعة بتلك الإنحرافات فيسقط مذهبهم فى طرفة عين ، غير أن قولهم هذا يسقط مع سؤال منطقي واحد

لماذا لم تهتموا بتراث الأئمة المبثوث فى تلك الكتب فتميزوا الصحيح من الضعيف ؟!

هذا السؤال المفصلي وحده يكفي وزيادة لبيان الحقيقة ، لأنهم فى واقع الأمر يصدقون بتلك الكتب وبكل ما ورد فيها وينكرون ذلك تقية ، وفى نفس الوقت لا يستطيعون أن يطبقوا منهج النقد والتمحيص والحكم النهائي على الأحاديث بالصحة والضعف وبيان موقفها لأنهم لو فعلوا لانكشف عوارهم دون جهد من أهل السنة لأنهم ساعتها سيكونون أمام خيارين أحلاهما مر :

الأول : إما أن يضعفوا كل الأحاديث التى يعتقدون بمحتواها ولا يجرءون على القول بصحتها وعندئذ سيضطرون إلى مواجهة إسقاط مذهبهم بأيدى عوام الشيعة أنفسهم ، لأن تلك الأحاديث تحتوى ما يتاجر به علماء الشيعة من تكفير الصحابة والقول بالتقية الواجبة ونحو ذلك .

الثانى : تصنيف الأحاديث إلى صحيح وضعيف والقول بصحة الأحاديث التى يبنون عليها عقائدهم الباطلة وعندئذ سيقعون بين مخالب أهل السنة ببساطة ، فساعتها سيتضح أمام الجميع حقيقة معتقدهم الذى يدارونه بالتقية وتسقط التقية فيسقط المذهب كله ، والدليل على أن الشيعة تعتقد بصحة ما ورد فى تلك الكتب ما نقله الحر العاملى فى وسائل الشيعة (259 / 30)

(الاصطلاح الجديد يستلزم تخطئه جميع الطائفة المحققة في زمن الأئمة عليهم السلام ، وفي زمن الغيبة كما ذكره المحقق في أصوله)

أى أن استخدام الإصطلاح الجديد عليهم ـــ وهو التصحيح والتضعيف ـــ يستلزم منه تخطئة وإهمال كل كتب الشيعة الرئيسية التى عليها معتمد المذهب !

لهذا سارع علماء الشيعة إلى إنكار محاولات عالمهم البهبودى ـــ رغم جلالة قدره ـــ على تصنيف كتاب صحيح الكافي وقالوا بأن تصحيحه وتضعيفه يلزمه وحده ولا يلزم الطائفة ، وبمثل ذلك تعاملوا مع تحقيق المجلسي لكتاب الكافي فى كتابه (مرآة العقول) لأن المجلسي صحح فى مرآة العقول أحاديث تحريف القرآن وتكفير أم المؤمنين التى تخفيها الشيعة بالتقية .

فهل رأينا أصل مشكلة تلك المصادر ؟!

مجرد استخدام أسلوب التحقيق سيسقط كل تلك المكذوبات التى نقلها الكبار عبر العصور لأنه لا يوجد لديهم حديث واحد صحيح – على شروطهم هم – إلى النبي عليه الصلاة والسلام أو إلى أحد الأئمة ، وهذا ما صرح به الحر العاملى نفسه حيث قال عن تحقيق الأحاديث ومسألة إخضاعها للفحص حيث قال فى وسائل الشيعة الجزء الثالث ـــ ص 260

(الرابع عشر: أنه يستلزم ضعف أكثر الأحاديث، التي قد علم نقلها من الأصول المجمع عليها، لأجل ضعف بعض رواتها، أو جهالتهم أو عدم توثيقهم، فيكون تدوينها عبثا، بل محرما، وشهادتهم بصحتها زورا وكذبا. ويلزم بطلان الإجماع، الذي علم دخول المعصوم فيه – أيضا – كما تقدم .واللوازم باطلة وكذا الملزوم. بل يستلزم ضعف الأحاديث كلها عند التحقيق لأن الصحيح – عندهم :- (ما رواه العدل، الإمامي، الضابط، في جميع الطبقات) .و لم ينصوا على عدالة أحد من الرواة، إلا نادرا، وإنما نصوا على التوثيق، وهو لا يستلزم العدالة قطعا بل بينهما عموم من وجه، كما صرح به الشهيد الثاني وغيره ودعوى بعض المتأخرين:

أن (الثقة (بمعنى) العدل، الضابط) .ممنوعة وهو مطالب بدليلها. وكيف ؟ و هم مصرحون بخلافها حيث يوثقون من يعتقدون فسقه، وكفره وفساد مذهبه ؟!

وإنما المراد بالثقة :من يوثق بخبره ويؤمن منه الكذب عادة، والتتبع شاهد به وقد صرح بذلك جماعة من المتقدمين والمتأخرين. و من معلوم – الذي لا ريب فيه عند منصف –: أن الثقة تجامع الفسق بل الكفر . و أصحاب الاصطلاح الجديد قد اشترطوا – في الراوي – العدالة فيلزم من ذلك ضعف جميع أحاديثنا لعدم العلم بعدالة أحد منهم إلا نادرا) انتهى كلامه .

ويكفينا كلام العاملى الذى يحمل فى طياته ما يغنى عن غيره لهدم جميع مصادرهم التي لا يجرءون على إخضاعها للتحقيق لأنه لو أنهم طرقوا هذا الباب فمعناه على حد قول العاملى إسقاط جميع أحاديثهم .

ونحن طلبا للإختصار ، لم نتعرض لكتبهم فى علم الرجال والتى تحمل نفس النتيجة

فعلم الرجال وهو العلم الرئيسي فى علوم الحديث الذى يعتمد على بيان حال الرواة وبناء عليه يعتمد العلماء صحة روايته أو ضعفها ، لم تعرف الشيعة هذا العلم إلا فى المائة الرابعة للهجرة ، و لم تعرفه بأصوله التى سار عليها منهج أهل السنة بل جاء أبو عمرو الكشي عمدتهم فى مرجع الرجال فصنف لهم كتابا فى غاية الإختصار !

وقد سبق أن نوهنا عن طبيعة الكتب الرجالية ومثلنا بكتاب تاريخ دمشق لابن عساكر والذى على هول مقامه لا يمثل إلا كتابا واحدا من عشرات الكتب فى هذا الفن ، وليت أن الأمر اقتصر على أنه كتاب مختصر فحسب ،

فالطامة الكبري فى انعدام فائدته لأنه مصنفه أخرجه فى المائة الرابعة و لم يُعاصر راويا واحدا من أصحاب الأئمة أو ينقل عن كتب غيره ممن سبقوه أحوال هؤلاء الرواة لأنه كان أول من طرق هذا الباب ! فمن أين سيأتى بسند صحيح ومصدر صريح يمكنه من الحكم على الراوى بالجرح أو التعديل ؟!

لا سيما وأنه كان مكثرا فى الرواية عن الضعفاء كما صرح بذلك عالمهم النجاشي ، فكيف يكون عالما فى الرجال ويصنف فى هذا الفن كتابا مليئا بالرواية عن الضعفاء ؟!

هذا فضلا على أن كتاب الكشي ككتاب غيره ممن جاء بعده احتوى على تناقض حقيقي حيث ترى توثيق الراوى وجرحه فى نفس الكتاب !

فبأى شيئ سيأخذ عالم الحديث عند التحقيق بتجريح الراوى أم بتوثيقه ؟!

ويقول الفيض الكاشانى فى الوافي عن حال كتب الرجال عندهم (مقدمة الـــوافي ـــ ص 25) :

(فإن في الجرح والتعديل وشرائطه اختلافات وتناقضات واشتباهات لا تكاد ترتفع بما تطمئن إليه النفوس كما لا يخفى على الخبير بها)

ولا يختلف حال هذا الكتاب عن ثانى أهم كتبهم فى الجرح والتعديل وهو رجال النجاشي

وكمثال على تلك المهازل الواقعة فى كتاب النجاشي

ذكر النجاشي في ترجمته لمحمد بن الحسن بن حمزة الجعفري :

(مات رحمه الله في يوم السبت ، سادس شهر رمضان ، سنة ثلاث وستين وأربع مائة) ، ـــــ رجال النجاشي ص 404)

والنجاشي مؤلف الكتاب توفي سنة 450 هـــ .

هل يُعقل أن يموت هذا الراوي بعد النجاشي مؤلف الكتاب بـــ 13 سنة ؟!

والأمر لم يقف عند انتفاء المصدر الصحيح فى الجرح والتعديل لانتفاء الأسانيد الصحيحة فى ذلك فحسب .

بل تجاوز ذلك إلى مرحلة لو وقعت بحق أى كتاب من الكتب الرجالية لأسقطته بالضربة القاضية ،

ألا وهى مرحلة الخلط وعدم التمييز بين الرواة فى الأسماء والكنى والألقاب ، ولو عـــدنا لقواعد أهل السنة فى هذا المجال سنجدهم وضعوا تلك النقطة فى بؤرة الإهتمام لأن تشابه الكنى والألقاب والأسماء قد يوقع الخلط بين الروى الصحيح والراوى الضعيف مما يؤدى إلى إسقاط حديث صحيح أو تصحيح حديث ضعيف .

لهذا صنف علماء السنة كتبا مستقلة فى تلك الأمور ، ولم يكتفوا فقط بإبراز تلك المسألة فى كتب الرجال الرئيسية ، فهذا الذهبي ألف كتابا كاملا باسم المشتبه خصـــصه كلـــه للأسماء والكنى التى وقع فيها التشابه ونقل فيها كيفية التمييز بينهم .

بينما الشيعة خلطوا على عادتهم الحابل بالنابل وفى ذلك يقول عالمهم المامقانى بكتابه تنقيح المقال في علم الرجال (1 / 177) :

(إنه في كثير من الأسانيد قد وقع غلط واشتباه في أسامي الرجال وآبائهم أو كناهم أو ألقابهم)

ويقول عالمهم محمد الحسيني في كتابه المسمى(بحوث في علم الرجال) في الفائدة الرابعة :

(إن أرباب الجرح والتعديل كالشيخ النجاشي وغيرهما لم يعاصروا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام ومن بعدهم من أصحاب الأئمة عليهم السلام حتى تكون أقوالهم في حقهم صادرة عن حس مباشر وهذا ضروري وعليه فإما أن تكون تعديلاتهم وتضعيفاتهم مبنية على أمارات اجتهادية وقرائن ظنية أو منقولة عن واحد بعد واحد حتى تنتهي إلى الحس المباشر أو بعضها اجتهادية وبعضها الآخر منقولة ولا شق رابع ، وعلى جميع التقادير لا حجية فيها أصلاً فإنها على الأول حدسية وهي غير حجة في حقنا إذ بنا العقلاء القائم على اعتبار قول الثقة انما هو في الحسيات أو ما يقرب منها دون الحدسيات البعيدة وعلى الثاني يصبح أكثر التوثيقات مرسلة لعدم ذكر ناقلي التوثيق الجرح في كتب الرجال غالباً والمرسلات لا اعتبار بها) انتهى

وهذا اعتراف صريح وواضح بأن مصنفات علم الرجال والتى هى عمود علوم الحديث والنقل والرواية والطريقة الوحيدة للتيقن من صحة صدور الروايات أو بطلانها ، هى عند الشيعة عبارة عن أقوال مرسلة بلا معنى وبلا إسناد صحيح وأول مؤلفاتهم بها جاء مليئا بالعيوب فضلا على أنه مصنف بعد مائة وخمسين عاما من أقرب الرواة إلى عمر المؤلف الذى يعالج أحوالهم والمفروض أنه يبين موقفهم من الجرح والتعديل .

هذا بالإضافة إلى أحوال أوثق رواة الشيعة وهم الرجال الذين تميزوا بين آلاف الرواة بالتوثيق المتواتر عند الشيعة ويعتبرون عندهم بنفس مكانة أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام عندنا !

وهؤلاء الرواة منهم زرارة بن أعين وجابر بن يزيد الجعفي وشيطان الطاق وبريد بن معاوية العجلى وغيرهم ، هؤلاء الرواة عندنا نحن أهل فى حكم كتبنا الرجالية كلهم زنادقة وأجمعت كلمة المحققين على ذلك ، "[83]"

[83] ـــ رجال الشيعة في الميزان ـــ د. عبد الرحمن الزرعى ـــ بحث لموقع فيصل نور

بينما هم عند الشيعة أوثق الرواة لا سيما زرارة بن أعين وجابر الجعفي ، ورغم هذا الاعتقاد بالتوثيق فقد أوردت كتبهم الرجالية الأصلية مثل رجال الكشي روايات عن جعفر الصادق ومحمد الباقر تقول بلعن زرارة بن أعين عدة مرات على لسان الإمام الصادق بعد اكتشافه كذبه الصريح عليه

وفى نفس الكتاب نقل الكشي عن جابر بن يزيد الجعفي أنه روى عن محمد الباقر عليه السلام سبعين ألف رواية !

أكرر ،

روى سبعين ألف رواية عن الإمام الباقر ومثلها تقريبا عن جعفر الصادق وعندما سؤل عنه الصادق وعن مروياته أفاد بأنه لم يره عند أبيه الباقر إلا مرة واحدة وما دخل عليه – على جعفر الصادق – قط !!

فمن أين أتى جابر الجعفي بمائة وأربعين ألف حديث حدث بها عن الباقر والصادق ؟!

بالإضافة إلى حقيقة هامة يجدر بنا الإشارة إليها أن الأئمة من آل البيت المفترى عليهم مثل على زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق كلهم مدنيون فى المولد والوفاة و لم يحدث أن أقام أحد منهم بالعراق أو الكوفة مطلقا ، ولا ثبت شيئ من هذا لا فى كتب السنة ولا الشيعة

والصادق زار العراق ونزل عند أبي جعفر المنصور ببغداد ، بينما الرواة الشيعة الذين تعتمد الشيعة اليوم على مروياتهم ويتخذونها دينا كلهم بلا استثناء من الكوفة !

فمتى وكيف ومن أين استقي هؤلاء الكذابون مئات الآلاف من الروايات الموجودة بقلب كتبهم ؟!

والأهم كيف وثق الشيعة أمثالهم واعتبرهم أصحاب الأئمة والناقلين الصادقين عنهم ؟!

ولو أردنا أن نلقي نظرة إلى منهج أهل السنة فى أمر معاصرة الراوى لمن ينقل عنه ، سنجد أن أهل السنة قرروها كقاعدة صميمة فى الجرح والتعديل حيث أن أحد كبار علماء الجرح والتعديل عندنا صرح بأن المحدثين وعلماء الجرح والتعديل واجهوا كذب الرواة بالتاريخ .

ومعنى هذا أنهم واجهوا إدعاء الرواة بالسماع عن طريق معرفة مواليد ووفيات من يروون عنهم فمن ثبت أنه روى عمن لم يلقه أو يعاصره ثبت كذبه

و لم يقتصروا فقط على شرط المعاصرة بل ضمّنوه شروطا أهم تتمثل فى إمكانية اللقـــاء إذ أنه فى تلك العصور لم يكن السفر هينا فإذا روى أحد الرواة شيئا عن عالم بالشام بينمـــا الراوى بالعراق و لم يثبت أنه غادرها تسقط روايته .

أما عن كيفية إثبات أنه لم يغادرها فقد سبق أن شرحنا منهج بن عساكر فى تاريخ دمشق وهو نفس منهج بقية علماء الرجال حيث يسطرون تراجم الـــرواة بالمواليـــد والوفيـــات والرحلات أيضا !

فلنا أن نتخيل كيف قبل الشيعة روايات جابر وزرارة وهم بالإجماع كوفيون بينما الأئمة مدنيون ولو افترضنا أن هؤلاء الرواة كانوا يرحلون للحج فهل تكفي فترات الحج لينقـــل جابر الجعفي وحده عن الإمامين الباقر والصادق مائة وأربعين ألف رواية

وحتى ندرك استحالة ذلك بأى مقياس ،

يكفينا أن نعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم وهم الذين صحبوا الـــنبي عليـــه الـــصلاة والسلام سنين حياته بعد الدعوة لو أننا أحصينا روايات أكبر المكثرين عنه مـــا تجـــاوزت أربعة آلاف حديث !

وها هو أبو هريرة رضي الله عنه الذى كان ملتصقا بالنبي عليه الـــصلاة والـــسلام منـــذ إسلامه وحتى انتقال النبي عليه الصلاة والسلام للرفيق الأعلى ، بل وكان – كما يقـــول عن نفسه – مشغولا بجمع الحديث لا صناعة ولا هم له إلا هذا الأمر ، ومع ذلـــك مـــا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أكثر من أربعة آلاف حديث بالمكرر .

وعدد الصحابة رواة الألوف لا يزيد على أصابع اليد الواحـــدة بينمـــا أكثـــرهم روى العشرات والبعض الآخر روى المئات التى لا تتعدى خمسمائة حديث ، كل هذا وفيهم من صحبه طيلة سنوات الدعوة قائما وقاعدا مجاهدا وعابدا و لم يتركوه طيلة ثلاثة وعـــشرين عاما وليس من بينهم صحابي واحد روى أكثر من الأربعة آلاف ، فكيـــف روى جـــابر الجعفي الكوفي عن الإمامين الباقر والصادق سكان المدينة مائة وأربعين ألف رواية ؟!

ومن المضحكات المبكيات حقيقة أن عالما من علماء الشيعة مثل عبد الحسين شرف الدين لم يستح و لم ينتبه لتلك الحقيقة في كتبه فصنف كتابا للطعن على أبي هريرة رضي الله عنه وزعم فيه أنه كان يكذب على النبي عليه الصلاة والسلام .

ودلل على ذلك بأنه روى أربعة آلاف حديث فى فترة صحبته للنبي عليه الصلاة والسلام وهو عدد كبير- فى نظره - لو قسناه بالفترة التى عاشها أبو هريرة مع النبي عليه الصلاة والسلام رغم أنها قرابة عشرين عاما !

فما هى النتيجة التي نخلص إليها من بحث تلك النقطة ..

النتيجة التي استبانت أمام القارئ العزيز أن جميع المفتريات التي يأتى بها الطاعنون في أم المؤمنين رضي الله عنها في مطبوعاتهم وبرامجهم وكتبهم وبحوثهم ليس لها مصدر رئيس إلا هذه المصادر التي سبق أن عرضناها وبينا حالها وحكم العلم فيها ، فضلا على أن تلك المفتريات كانت مصدرا للهجمة العلمانية على أم المؤمنين في الصحف والمجلات ، والتى تزامنت مع الهجمة الرافضية واتخذت نفس أسلوبها مما يوحى بوحدة المصدر في الواقع !

كما ظهر أمام القارئ الكريم أن بعض مفكرينا وكُتابنا من حسنى النوايا لم يدركوا أو يتعمقوا في مبادئ علم الحديث والإسناد بطبيعته ـــ رغم أنه أصل من أصول حضارة الإسلام ـــ وهو ما تسبب في أنهم نقلوا عن منتحلى التشيع بعض المطاعن التي تعاملوا معها كأنها مرويات حقيقية ولو أنهم تبصروا لطبيعتها وأسلوب الدس فيها ما تضمنتها معارفهم ،،

الفصل الخامس :

رد الشبهات عن أم المؤمنين رضي الله عنها ..

ومهما قيل يا رمز الصمودِ ..
بشُبْهات من الإفك الجديدِ
سندرأ عنك بالقرآن .. قوما ..
أرادوا السوء بالدين الفريدِ "[84]"

[84] ـ من مجموعة قصائد بعنون (متفرقات) ـ نفس المصدر السابق

الفصل الخامس :
رد الشبهات عن أم المؤمنين رضي الله عنها ..

كلامنا هنا للقارئ الكريم , ورهاننا على حكمته , في إدراك كنه وطبيعة تلك الأقوال التي تثيرها أبواق الفتنة من الرافضة وغيرهم ,

وقد شرحنا في الفصل السابق مدى أهمية علم الحديث وضرورة التثبت من الأخبار التي يتم بثها , لا سيما عندما يتعلق الأمر بهؤلاء الأكابر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ,

وقبل شرح ورد أى شبهة ينبغي على كل مسلم أن يدرك تمام الإدراك أن أى انتقاص من قدر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـــ بعد أن شرفها القرآن الكريم ـــ هو معناه تكذيب لله ورسوله عليه الصلاة والسلام اعتمادا على أراجيف لا تعدو كونها مفتريات تارة , أو كونها شبهات عرجاء تسقط مع أول تأمل .. تارة أخرى ,

وهو يقين ضرورى للمسلم أن يتحلى به , فلا ينبغي أن يسمح لأى شبهة مهما بلغت قوتها أن تتسلل إلى عقيدته في هؤلاء القوم الذين اصطفاهم الله تعالى لخير أنبيائه ورسله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

وعندما يتعرض لمثل هذا ينبغي عليه أن يدرك تمام الإدراك أنه بصدد شبهة عرجاء , حتما لدى علماء المسلمين ومفكريهم ما يردها ويدحضها , وليس معنى عجزه إزاءها أن تلك الشبهة صحيحة فيما تدعيه , بل يجب أن يثق في أن لها حلا لا يستطيع عقله أو علمه الوصول إليه وينبغي له الإستعانة عليها بأقوال المتخصصين إذا تركت تلك الشبهة أثرا في نفسه .

على ألا يكون بحثه هو أسلوب الباحث عن براءة لأم المؤمنين أو غيرها , فهؤلاء مبرءون من الله عز وجل , بل ينبغي أن يكون البحث بغرض العلم بالشيئ , علم من يريد المساهمة في الذب عن عرض أم المؤمنين لا علم الذى يشك أو يرتاب !

والشبهات ـــ بسبب غزارتها وتنوعها ـــ لا يمكن حصرها في بحث أو كتاب واحد مهما بلغ , ولهذا فإن علماءنا يبذلون جهودهم لتفنيد أى شبهات تتراكم في أذهاننا , وعلينا نحن أن نكون في عونهم ,

وعونهم يتمثل في العقول المتمثلة والقلوب المؤمنة , التي تدرك وتتفهم وترى في حلول الشبهات مقياسا تقيس عليه ما يتجدد من أقوال أهل الإفك ,

وبهذه العقلية لن يحتاج أى مسلم إلا أن يطالع بعض أمثلة الشبهات وكيفية تفنيد العلماء لها , ليكتسب حصانة تلقائية ضد أى شبهات جديدة مهما بلغ تعقيدها ,

ولن يفيد الإسلام والمسلمين آلاف العلماء العاملين على رد الشبهات إذا كانت جماهير المسلمين في غيبة عن الوعى والحس الإسلامى المدرك لعظمة جيل النبوة , بالشكل الذى يدحض أى محاولة للإعتداء على هذا الجيل المكرم بالقرآن والسنة ,

والذي يتأمل آيات القرآن الكريم يجد هذا المبدأ الساطع ـــ مبدأ اشتراط اليقين والإيمان ـــ علامة وشرط ليفتح الله من عنده على عبده بركات هدايته بلا حدود ,

يقول تعالى :

[ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ] {البقرة:2}

فلم يقل الله تعالى أن الكتاب (هدى للمرتابين أو الكافرين) بل جعله للمتقين وحدهم ,

ويقول عز وجل :

[وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ] {غافر:34}

وفى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما طلب إلى ربه أن يريه كيف يحيي الموتى , اشترط الله عز وجل شرط الإيمان فقال :

[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {البقرة:260}

وبمثل هذا الدروس القرآنية البليغة ينبغي استنباط الحِكَم من القرآن الكريم واتخاذها مثلا ومنهجا,

ولهذا فإننا في تعرضنا للشبهات المثارة ضد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سنكتفي بعرض نماذج لأنواع الشبهات وأسلوبها وكيفية الرد عليها , كى يخبرها القارئ فيكتسب الحصانة اللازمة ويثق في أن كل شبهة قديمة أو جديدة ما هى إلا فهم مغلوط لواقعة صحيحة أو واقعة مدسوسة أُرِيدَ بها التشكيك والطعن ولهذا الهدف وحده ,

ويكفي القارئ أنه أدرك ـــ من خلال الفصول السابقة تفصيلا ـــ طبيعة خصومه وأهدافهم والمحرك الباعث لهم على بث ورجم تلك الشبهات إلى قلوب المسلمين , ليثق القارئ تماما في أن هذه الأهداف لا يمكن أن ينفذها أصحابها بغير الكذب والدجل

وسنتعرض لنوعي الشبهات المثارة ونمثل قدر المستطاع بأمثلة على كل منهما , ونوعى الشبهات هما :

الأول : شبهات وردت في كتب أهل السنة ولكنها مردودة وباطلة لبطلان رواياتها وعدم ثبوتها

الثانى : شبهات مثارة حول وقائع صحيحة , لكن تداخلت الأفهام المغرضة في لى أعناق النصوص

الأول : شبهات مردودة لبطلان رواياتها :

وهى الشبهات التي لا تحتاج تفنيدا لمتنها , حيث أن سندها مهدوم , ذلك أنها مبنية على أسانيد مظلمة أثبت العلماء بحق رواتها ضعفا أو كذبا , وبالتالى كانت رواياتهم مردودة دون النظر في محتواها , ومن ذلك :

* ما أثير من شبهات حول خروجها يوم الجمل وما أحيط بهذا الحدث من أكاذيب كنيتها حرب الإمام علىّ , وشهادة الزور في ماء الحوأب إلى غير ذلك من المكذوبات , فهذه كلها دسائس الإخباريين وقد أوضحناها في تناولنا لتفاصيل معركة الجمل وردود العلماء في هذا الشأن بالفصل الثانى من هذا الكتاب

* ما نسب إلى أم المؤمنين رضي الله عنها من أنها قالت عن عثمان رضي الله عنه :

(اقتلوا نعثلًا، قتَلَ الله نعثلًا، ولَمَّا بلَغَها قتْلُه، فَرِحَتْ بذلك)

فقد جاءت من طريق سيف بن عمر الضبي ونصر بن مزاحم ,

فأما سيف بن عمر الضبي ، قال يحيى بن معين : وابن أبي حاتم : ضعيف الحديث ، وقال النسائي : كذاب ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات ، قال وقالوا : إنه كان يضع الحديث ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال ابن أبي حاتم : مرّة : متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدي وقال أبوداود : ليس بشيء وقال ابن عدّي : عامّة حديثه منكر

وأما نصر بن مزاحم قال فيه العقيلي (كان يذهب إلى التشيع وفي حديثه اضطراب وخطأ كثير) (الضعفاء للعقيلي (300/4) رقم (1899)

وقال الذهبي » رافضي جلد، تركوه وقال أبو خيثمة: كان كذاباً، وقال أبو حاتم: واهي الحديث، متروك، وقال الدارقطني: ضعيف« (الميزان للذهبي 253/4) رقم (9046).

وقال الجوزجاني: كان نصر زائفاً عن الحق مائلاً، وقال صالح بن محمد: نصر بن مزاحم روى عن الضعفاء أحاديث مناكير، وقال الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسين: نصر بن مزاحم غال في مذهبه « (تاريخ بغداد 283/13) وعلى ذلك فهذه الرواية لا يعول عليها ولا يلتفت إليها إضافة إلى مخالفتها للروايات الصحيحة الناقضة لها , ومخالفتها أدنى منطق لمن عنده ذرة عقل , حيث أن موقف عائشة رضي الله عنها سبق شرحه فى غضبتها لمقتل عثمان رضي الله عنه "[85]"

* زعَمَ بعضُ المؤرِّخين أنَّ الزبير بن العوَّام أكْرَه السيدة عائشة على الخروج في معركة الجمل , وهو زعم كاذب لا أصل له من الواقع أو الحقيقة ..

وجاء هذا الزعم من مصدرين كلاهما مطعونٌ فيه , وهما تاريخ (اليعقوبي) , وهو كتاب تاريخ خال من الإسناد والتوثيق وعليه فهو كعدمه ,

والكتاب الثانى هو (الإمامة والسياسة) المنسوب للإمام بن قتيبة السنى وهو منه براء حيث أن هذا الكتاب منحول عليه كما اتفقت كلمة المحققين وصاحبه شيعي رافضي جلد كما يتضح من خلال صفحات الكتاب , وهى واحدة من مكايد الشيعة حيث كانوا يصنفون

[85] ـــ شبهات وردود ـــ موقع شبكة الدفاع عن الصحابة ـــ شبكة الإنترنت

الكتب وينسبونها إلى كبار علماء السنة بغرض إثارة الشبهات وتأكيد مزاعمهم , فضلا على أن هذا الكتاب خال من الأسانيد أصلا , وعليه فهو قولٌ ساقط "[86]"

* زعم المستشرقون مثل (بروكلمان) ومن تابعه من دعاة الفتنة أن أم المؤمنين كانت شخصية متسلطة على من معها !

وهذا قول ساقط بلا شك لم يدعمه صاحبه بإسناد من الأصل حتى يعول عليه , فضلا على مجافاته لسيرة ومناقب أم المؤمنين الثابتة بأسانيد متواترة في مصادر أهل السنة , وقد فصل العلماء في العصر الحديث هذا الزعم مثل الدكتور علىّ الصلابي في كتابه (سيرة علىّ بن أبي طالب)

* إدعاء الشيعة أن عائشة رضي الله عنها منعت دفن الحسن بن علىّ رضي الله عنهما عند جده عليه الصلاة والسلام !

وهذا من الإفك والكذب وليس عليه مظنة دليل واحد من عقل أو نقل , وهذا مما يستدعى للذاكرة قول علماء المسلمين وأئمة آل البيت في كذب وإختلاقات الشيعة .

ويكفيهم قول بن تيمية بأنهم أكذب الناس وقول الشافعى أنهم أشهد الناس بالزور , ويكفيهم تضجر جعفر الصادق وأبيه الباقر رضي الله عنهما من كذبهم كما ثبت في مصادرهم من رجال الكشي وغيره

وقصة موت الحسن بن علي واستئذان أخيه الحسين من عائشة بأنْ يُدْفَنَ عند جَدِّه ثابتة في كُتب السُّنَّة، أما ممانعة الصِّدِّيقة، وركوبها على بغْلٍ، وخروجها إلى الناس، فكل ذلك من التُّرَّهات والأكاذيب،

فلم تكنْ أُمُّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – تمانِعُ من دَفْن الحسن بن علي – رضي الله عنهما – عند جَدِّه – صلَّى الله عليه وسلَّم – بل لقد وافقَتْ على ذلك، وقالتْ لأخيه الحسين – رضي الله عنه – لَمَّا استأذَنَها في دَفْن الحسن :نَعَم، وكَرامة عين كما روى ذلك ابنُ عبدالبر من طُرق مُتعددة فى الاستيعاب (الجزء الأول ــ ص 387)

ولكن الذى منع الدفن هو مروان بن الحكم والى المدينة وقتها وكاد الإمام الحسين رضي اله عنه يثير قتالا في هذا الشأن لولا أن نهاه الإمام الحسن نفسه عن ذلك وانتهى الأمر

[86] ــ كشف هذه المكايد العلامة الآلوسي ــ في كتابه الماتع (مختصر التحفة الإثنا عشرية)

* ادِّعاء الشيعة أنَّ عائشة – رضي الله عنها – هي أوَّل مَن رَكِب السروج ,

وقصد الشيعة من تلك الفرية الحقيرة قصدٌ حقير بكل ما الكلمة من معنى , ولا يثبت من أى وجه من وجوه الإثبات , ومن الغريب أنهم رووا في كتبهم ما يناقضه حيث أثبتوا أن عليا ـــ برأه الله تعالى ـــ قاد حمارا ركبت عليه فاطمة ـــ برأها الله تعالى ـــ لتدعو الناس لبيعته ضد الصديق , وهذا كله من الإفك المبين

* ادِّعاء الشيعة أنَّ عائشة لم تَتُبْ من مُعاداتها لعَلِي – رضي الله عنه – وحربِها له، وبكائها بعد المعركة لم يكنْ دليلًا على الندم، بل لأنها فَشِلتْ في المعركة، و لم تحقِّقْ مأربَها في النَّيْل مِن عَلِيّ والانتقامِ منه.

وهذا كله من الإفك المبين فقد أثبت بن سعد في الطبقات ندم السيدة عائشة على الخروج يوم الجمل بعد أن تداعت الأحداث بما لا تحب , وأثبت أنها كانت تبكى من ذلك رضي الله عنها رغم أن اجتهادها كان بغرض الإصلاح "[87]"

الثانى : من أمثلة شبهات الفهم المغرض :

وهذه الفقرات سنضرب فيها الأمثلة بما يفعله الشيعة بالروايات الصحيحة , حيث يعمدون إلى الإضافة والإختلاق على أصل الرواية أو يجعلون من الرواية دليلا على ما يروجون له عن طريق التعسف في التفسير وتحميل الألفاظ أكثر مما تحتمل

ومن ذلك :

* قول الرافضة قديما وحديثا أنَّها – أي: عائشة – أذاعتْ سِرَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقال لها النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم : (إنَّك تقاتلين عَلِيًّا وأنتِ ظالمة له، ثم إنَّها خالفتْ أمرَ الله في قوله – تعالى :﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

ومن أجمل ما قيل في هذا الباب ,

ما جاء عن شيخ الإسلام بن تيمية في منهاج السنة النبوية , والذي يعتبر بحق منبع الشريعة في الرد على شبهات الروافض حيث أفحم فيه شيخ الإسلام أقوال الرافضي بن مطهر الحلى بكتابه (منهاج الكرامة)

[87] ـــ الطبقات الكبري ـــ بن سعد الواقدى ـــ ج 10 ـــ ص 73 وما بعدها

(أما قوله ــ يعنى الرافضي بن المطهر ــ وأذاعتْ سِرَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم"، فلا ريبَ أنَّ الله – تعالى – يقول

:﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾

وقد ثبتَ في الصحيح عن عُمر أنَّهما عائشة وحَفْصة.

فيُقال أولًا : هؤلاء يَعمدون إلى نصوص القرآن التي فيها ذِكْر ذنوبٍ ومعاصٍ بيِّنة لِمَن نصَّتْ عنه من المتقدِّمين يتأوَّلون النصوصَ بأنواع التأويلات، وأهْل السُّنة يقولون: بل أصحاب الذنوب تابوا منها، ورفعَ الله درجاتهم بالتوبة.

وهذه الآية ليستْ بأَوْلى في دَلالتها على الذنوب من تلك الآيات، فإنْ كان تأويل تلك سائغًا، كان تأويل هذه كذلك، وإنْ كان تأويلُ هذه باطلًا، فتأويل تلك أبْطل.

ويُقال ثانيًا :بتقدير أنْ يكونَ هناك ذنبٌ لعائشة وحَفْصة، فيكونان قد تابتا منه، وهذا ظاهرٌ؛ لقوله – تعالى

:﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

فدعاهما الله – تعالى – إلى التوبة، فلا يُظنُّ بهما أنَّهما لم يتوبا، مع ما ثبتَ من عُلوِّ درجتهما، وأنَّهما زوْجتا نبيِّنا في الجنة، وأنَّ الله خيَّرهُنَّ بين الحياة الدنيا وزينتها، وبين الله ورسوله والدارِ الآخرة، فاخْتَرْنَ الله ورسولَه والدارَ الآخرة؛ ولذلك حرَّم الله عليه أنْ يتبدَّلَ بهنَّ غيرهُنَّ، وحرَّم عليه أن يتزوَّج عليهنَّ، واختُلِفَ في إباحة ذلك له بعد ذلك، وماتَ عنهنَّ وهُنَّ أُمَّهات المؤمنين بنصِّ القرآن، ثم قد تقدَّمَ أنَّ الذنبَ يُغفر ويُعفى عنه؛ بالتوبة، وبالحسنات الماحية، وبالمصائب المكَفِّرة.

ويُقال ثالثًا :المذكورُ عن أزواجه كالمذكور عمَّن شَهِد له بالجنة من أهْل بيته وغيرهم من الصحابة، فإن عَليًّا لما خَطَبَ ابنة أبي جهْل عَلى فاطمة، وقامَ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – خطيبًا،

فقال: (إنَّ بَني المغيرة استأذنوني أن يُنكِحوا عَليًّا ابنتهم، وإني لا آذنُ ثم لا آذنُ ثم لا آذن، إلاَّ أنْ يريدَ ابن أبي طالب أن يُطَلِّق ابنتي ويتزوَّج ابنتهم، إنما فاطمة بِضْعَةٌ منِّي يُريبُني ما أرابَها، ويُؤذيني ما آذاها) رواه البخاري،

فلا يُظنُّ بعليٍّ – رضي الله عنه – أنه ترَكَ الخِطبة في الظاهر فقط، بل ترَكَها بقلبه وتـــابَ بقلبه عمَّا كان طلبَه وسَعَى فيه.

وأمَّا الحديث الذي رواه وهو قوله لها: (تُقاتلين عَلِيًّا وأنتِ ظالمة له)، فهذا لا يُعـــرف في شيءٍ من كتب العلم المعتمدَة، وليس له إسنادٌ معروف، وهو بالموضوعات المكـــذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كَذبٌ قَطعًا؛ فإنَّ عائشة لم تُقاتِلْ و لم تخرجْ لقتالٍ، وإنما خرجتْ لقصدِ الإصلاح بين المسلمين، وظنَّتْ أنَّ في خروجِها مصلحة للمـــسلمين، ثم تبيَّنَ لها فيما بعد أنَّ ترْكَ الخروج كان أَوْلَى، فكانتْ إذا ذَكَرتْ خروجَها، تَبكي حتى تَبُلَّ خِمارَها.

وهكذا عامَّة السابقين نَدِموا على ما دخلوا فيه من القتال، فنَدِم طلحةُ والزبير وعَلِـــيّ – رضي الله عنهم أجمعين – و لم يكنْ يومَ الجَمَل لهؤلاء قصْدٌ في الاقتتال، ولكنْ وقَعَ الاقْتتال بغير اختيارهم؛ فإنَّه لَمَّا تراسَلَ عليّ وطلحة والزبير، وقصدُوا الاتفاقَ على المصلحة، وأنهم إذا تمكَّنوا طلَبُوا قَتَلَة عثمان أهْل الفتنة، وكان عليّ غيرَ راضٍ بقتْل عثمان ولا مُعينًا عليه، كما كان يحلفُ، فيقول: والله ما قتلتُ عثمان، ولا مالأْتُ على قتْله، وهو الصادق البارُّ في يَمينه، فخَشِي القَتَلَة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظنَّ طلحة والزبير أنَّ عَلِيًّـــا حمَلَ عليهم، فحملوا دِفاعًا عن أنفسهم، فظنَّ عليّ أنَّهم حملوا عليه، فحمَلَ دِفاعًا عـــن نفسه، فوقعتِ الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة – رضي الله عنها – راكبة؛ لا قاتلـــتْ، ولا أمرتْ بقتالٍ، هكذا ذَكَره غيرُ واحدٍ من أهْل المعرفة بالأخبار.

وأمَّا قولُه وخالفتْ أمرَ الله في قوله – تعالى :- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَـــرَّجْنَ تَبَـــرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾]

فهي – رضي الله عنها – لم تتبرَّجْ تبرُّجَ الجاهلية الأولى، والأمرُ بالقَرار في البيوت لا يُنافي الخروج لمصلحة مأمورٍ بها، كما لو خرجتْ للحج والعُمرة، أو خرجتْ مع زوجهـــا في سَفْرَة، فإنَّ هذه الآية قد نزلتْ في حياة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقد ســـافَرَ بهـــنَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بعد ذلك، كما سافرَ في حَجة الـــوداع بعائـــشة – رضي الله عنها – وغيرها، وأرْسَلَها مع عبدالرحمن أخيها، فأرْدَفَها خَلْفَه، وأعمرها مـــن التنعيم، وحَجة الوداع كانتْ قبل وفاة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بأقلِّ مـــن ثلاثـــة

أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواجُ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يَحْجُجْنَ – كما كنَّ يَحْجُجْنَ معه – في خلافة عُمر – رضي الله عنه – وغيره، وكان عُمر يُوكِّلُ بقطارهنَّ عثمان أو عبدالرحمن بن عوف، وإذا كان سَفَرُهنَّ لمصلحة جائزًا، فعائشة اعتقدتْ أنَّ ذلك السفر مصلحةً للمسلمين، فتأوَّلتْ في ذلك.

وأما قوله : إنها خرجتْ في ملأٍ من الناس تقاتِلُ عليًّا على غير ذنبٍ ، فهذا أولًا كذبٌ عليها؛ فإنَّها لم تخرجْ لقصْد القتال، ولا كان أيضًا طلحة والزبير قصْدهما قتال عليّ، ولو قُدِّرَ أنَّهم قَصَدوا القتال، فهذا القتال المذكور في قوله – تعالى

:﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾

فجعَلَهم إخوةً مع الاقتتال، وإذا كان هذا ثابتًا لمن هو دون أولئك المؤمنين، فهم به أَوْلَى وأحْرَى!) انتهى ..

* من أقوى شبهاتهم استخدامهم حديث النبي عليه الصلاة والسلام حين أشار للمشرق وقال (ها هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان) حيث يزعم الروافض أنه كان يقصد الإشارة إلى بيت عائشة رضي الله عنها !

والحديث صحيح لا غبار عليه , وقد أخرجه البخارى

ولكنه بالقطع لا يحتوى على أدنى إشارة تسمح لأى عقل أن يفهم من الرواية أن يكون قصد النبي عليه الصلاة والسلام بيت السيدة عائشة رضي الله عنها ! , فقصد الحديث أوضح من أن يُوضح حيث يشير إلى حيث يطلع قرن الشيطان ــ كما نص الحديث ــ أى المقصود هو اتجاه الشرق ــ كما أوضح بن حجر في فتح الباري ــ , وهذا هو المعنى بهذا الحديث حيث كانت فتن أمة الإسلام جميعها من قِبَل المشرق حيث كان قطر العراق الذى ظهر فيه التشيع بمدينة الكوفة , وظهرت الخوارج بحروراء , وظهرت المعتزلة والفرق الكلامية من البصرة , فاختص المشرق بأنه كان باب الفتنة تماما كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام ,

وهذا ما ثبت أيضا في فهم الصحابة من الحديث ,

فقد أخرج البخارى عن بن سالم بن عبد الله بن عمر :

(يا أهل العراق ! ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن الفتنة تجيء من ههنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا للشيطان)

والمضحك في الأمر حقيقة أن الشيعة لا تنتبه إلى أنها تسيئ للنبي عليه الصلاة والسلام من حيث يزعمون محبته , فكيف يمكن أن يكون قول النبي عليه الصلاة والسلام يهدف إلى عائشة وهى زوجته وظلت كذلك حتى وفاته عليه الصلاة والسلام , هذا فضلا على الرد المنطقي الممتع الذى أجاب به الشيخ عبد الرحمن دمشقية على هذا الزعم في مناظرات المستقلة عندما سأل مثير الشبهة قائلا : وهل تزعم أن النبي عليه الصلاة والسلام دُفن حيث يطلع قرن الشيطان ؟!

إذ أن النبي عليه الصلاة والسلام توفي ودفن في بيت عائشة رضي الله عنها حيث قُبض

* وشبهة أخرى تتصف بخبث النية وسوء الطوية , حول حديث لا غبار عليه وهو

(عن أبي بكر بن حفص، قال: سمعت أبا سلمة يقول :دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة– رضي الله عنها- فسألها أخوها عن غسل النبي –صلى الله عليه وسلم- فدعت بإناء نحوا من صاع، فاغتسلت وأفاضت على رأسها وبيننا وبينها حجاب)

و هذا الأثر متفق على صحته؛ فقد أخرجه البخاري في صحيحه (248)، ومسلم (320)

ولكي تفهم هذا الأثر لا بد أن تقف على النقاط التالية:

إن هدف عائشة –رضي الله عنها- من هذا التصرف هو حسم الجدل في الكمية التي يمكن الاغتسال بها، فكأن هذا الجيل الصاعد من أبناء الصحابة كانوا يستبعدون جداً أن يغتسل الشخص بحوالي صاع فقط من الماء.

وهو أمر أرادت أمنا عائشة –رضي الله عنها- أن تبين أنه ممكن بأسلوب أقرب ما يكون إلى التحدي؛ فكأنها تقول: هاتوا صاعاً من الماء، وسترون أنه يكفي للاغتسال.

ولهذا تجد أن البخاري جاء بهذا الأثر تحت عنوان (باب الغسل بالصاع ونحوه.)

إن الأثر صريح في كونها جعلت بينها وبينهما حجاباً؛ ففي لفظ البخاري: (وبيننا وبينها حجاب)

وفي لفظ مسلم (وبيننا وبينها ستر)

ولا غرابة في اغتسالها في الغرفة نفسها، فالمعروف أنهم كانوا في ذلك الوقت يغتسلون داخل البيوت، ويتخذون لذلك آلة تسمى (المخضب) تكون من النحاس غالباً، يجلس الشخص فيها يرخي ستارة من حوله ويغتسل. وفي هذه الحالة لا حرج من وجود غيره معه في نفس الغرفة، ويشهد لهذا ما في الحديث المشهور من دخول أم هانئ بنت أبي طالب –رضي الله عنها- على النبي –صلى الله عليه وسلم- وهو يغتسل وفاطمة بنته –رضي الله عنها- تستره بثوب

{ صحيح البخاري (280)، صحيح مسلم.(336) }

بالإضافة إلى ذلك :

لقد أرادت عائشة –رضي الله عنها- أن تعلم هذين الولدين الاغتسال خطوة خطوة بشكل أقرب ما يكون إلى المشاهدة، وإن كانا لا يريانها لأنها –طبعاً- بينها وبينهما حجاب (ستارة)، وقد ورد في بعض روايات هذه القصة التي لا تخلو من ضعف أنها كانت تختبرهما بعد كل خطوة بأن تسألهما عن الخطوة الموالية وتصحح معلوماتهما.

وتعتبر هذه الطريقة رائدة في إيصال المعلومات إلى الأولاد كما أنها سهلة التطبيق الآن؛ فبالإمكان أن أستدعي أحد الأولاد، وأجعله يقف خلف الباب وأسأله عند كل خطوة ما هي الخطوة التي عليَّ أن أقوم بها الآن؛ فأضمن بذلك سلامة فهمه وتصوره للعملية ومقدرته على التطبيق .

ولقد جاء التصريح في هذا الأثر أن أحد صاحبي هذه القصة أخو عائشة –رضي الله عنها- من الرضاعة، وقد ورد في بعض الروايات أنه من بني أبي القيس، وهم محارم لها من الرضاعة كما هو مشهور وذكره البخارى .

وأما الثاني وهو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه- فإن عائشة –رضي الله عنها- خالته من الرضاعة؛ أرضعته أختها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق (انظر: التمهيد لابن عبد البر 61/7، وسير أعلام النبلاء 288/4) وقد يكون في وقت هذه

القصة صغيراً دون البلوغ؛ لأنه ولد سنة بضع وعشرين للهجرة، ولأن أمه من الرضاعة – أم كلثوم- لم تولد إلا بعد وفاة والدها –رضي الله عنه وأرضاه- كما هو مشهور "[88]"

* وشبهة أخرى لا تصدر إلا عن عقل مريض , ومؤداها أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما تآمرتا على قتل النبي عليه الصلاة والسلام بالسم ! , واستندوا فى ذلك إلى الحديث الذى رواه الشيخان ..

(عن عَائِشَة قالتْ: لَدَدْنا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – في مَرضه، وجعَلَ يُشير إلينا: ((لا تَلُدُّوني))، قالت: فقلْنا: كراهية المريض بالدواء، فلمَّا أفاقَ، قال: (أَلَمْ أنْهَكم أن تَلُدُّوني)، قُلنا: كراهيةً للدواء، فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم (لا يَبقى منكم أحدٌ إلاَّ لُدَّ وأنا أنظر إلاَّ العبَّاس؛ فإنَّه لم يشهدْكم)

واللَّدُود :هو الدواء الذي يُصبُّ في أحَدِ جانبي فمِ المريض، أو يُدْخَلُ فيه بأصبع وغيرها ويحنَّك به , ولسنا فى حاجة للتذكير بأسلوب الشيعة فى تلك الاستنباطات الشنيعة التى يستخرجونها من نصوص الأحاديث ويحملونها ما لا تحتمل , حيث أن نص هذا الحديث ـــ كغيره مما تقدم ـــ لا يحمل مثقال ذرة توحى بهذا الإتهام !

وقد وضعت السيدة عائشة وحفصة الدواء للنبي عليه الصلاة والسلام فمن أين أتى سم الرافضة ؟!

والأكثر إثارة للدهشة أن عقول الرافضة عجزت عن التأمل فى نص الحديث ومعرفة أنه من رواية عائشة رضي الله عنها نفسها , فكيف يمكن لها ـــ لو كانت حقا فعلت ـــ أن تذيع

سرها ؟!

وقد جاءت الرواية صريحة أيضا فيما يكذب ذلك كه دون حاجة لمجهود حيث أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالدواء لكل من كان بالغرفة ـــ عدا العباس ـــ وهذا يعنى أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما تناولتا ذات لدواء فكيف أثر فى النبي عليه الصلاة والسلام و لم يؤثر فيهن ؟!

[88] ـــ شبكة وموقع المنهج ـــ إشراف الشيخ عثمان الخميس ـــ قسم رد الشبهات عن أمهات المؤمنين

وأما عن نهى النبي عليه الصلاة والسلام لهن عن التداوى فقد أوضحه الحافظ بن حجر بن شرح الحديث وهو أن اللدود لا يفيد مع مرضه المعروف باسم (ذات الجنب) و لم يكن النهى عن تصور خيانة والعياذ بالله !

هذا بالطبع لو طرحنا عقولنا جانبا ووجدنا أن العقل بحاجة لكثير إدراك كى يدرك مدى سخف هذا الزعم وقبحه !

* وشبهة أخرى عرجاء خرجت من ادِّعاء بعض الكتاب والصحفيين أنَّ العمر الحقيقي للسيدة عائشة – رضي الله عنها – حين بَنَى بها رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كان 18 سنة، وليس 9 سنين، واتَّهامها بعدم رشادها ورجَاحة عَقْلِها، فكيف يكون لها زواج؟!

وقد تعدد القائلون بذلك فى الأيام الأخيرة

ولعل أبرزهم الدكتور حسين مؤنس فى كتابه (تنقية أصول التاريخ الإسلامى) "[89]"

وقد زعم فيه أنه قام مع مجموعة من زملائه أساتذة التاريخ بالجامعة بتحديد سن السيدة عائشة رضي الله عنها بثمانية عشر عاما عند زواجها من النبي عليه الصلاة والسلام !!

وهذا القول لا يصدر من طالب علم فضلا على عالم !

لأنه لا يقدح فقط في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن عائشة رضي الله عنها , بل يقدح في منهج كتابة التاريخ الإسلامى الذى قام علماؤنا على صيانته كما صانوا الأحاديث والنقل والشك في قدرتهم بهذا المجال لا شك أنه ينصرف إلى مصادر التشريع المنقولة بنفس المنهج الذى حسدنا عليه المستشرقون , وجاء من بيننا من يضرب به عرض الحائط !

والكارثة أن القائلين بذلك أقحموا الإستدلال العقلي حيث الدليل النقلي الساطع و لم يستطيعوا أن يبرهنوا على قولهم بشبهة دليل به شبهة صحة , ليصمد أمام أقوى أسانيد البخارى عن عائشة رضي الله عنها ..

فقد أخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

(عن عائشة – رضي الله عنها – قالتْ: تزوَّجني النبي – صلى الله عليه وسلم – وأنا بنتُ ستِّ سنين، فقَدِمْنا المدينة، فنزَلْنا في بني الحارث بن خزرج، فوُعِكْتُ؛ أي: أصابتْها

[89] ـــ تنقية أصول التاريخ الإسلامى ـــ د. حسين مؤنس ـــ ص 31

حُمَّى، فأتتْني أُمِّي أُمُّ رُومان وإنِّي لفي أرجوحة ومعي صواحبُ لي، فصَرَخَتْ بي فأتيتُها لا أدري ما تريد بي، فأخذتْ بيدي حتى أوقفتْني على باب الدار وإني لأنْهَجُ حتى سَكَنَ بعضُ نفسي، ثم أخذتْ شيئًا من ماءٍ فمسحتْ به وجْهي ورأْسي، ثم أدْخَلَتْني الدارَ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقُلْنَ: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسْلَمَتْني إليهنَّ، فأصْلَحْنَ مِن شأْني، فلم يَرُعْني إلاَّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ضحًى، فأسْلَمَتْني إليه - وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين)

كما أخرج لها الشيخان أيضا :

(كنتُ ألعبُ بالبنات عند النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان لي صواحبُ يَلْعَبْنَ معي، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخَلَ يَتَقَمَّعْنَ؛ أي :يَتَخَفَّيْنَ منه، فيُسَرِّبُهُنَّ إليّ، فيَلْعَبْنَ معي)

أما فصل القول ومسك الختام فى هذا الباب ,

فهو أن عائشة رضي الله عنها ، لو كان منها ما يوجب الكفر أو النقيصة من أى وجه لطلقها النبي – صلى الله عليه وسلم – فلا يجوز للمسلم فضلاً عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يمسك الكوافر ،

قال تعالى :

[وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ]

وما كان له أن يجعل في ذمته الكافرات المشركات لقوله تعالى :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ]

ومن الغريب أن هذه الحقيقة الساطعة غفل الشيعة عنها رغم أنهم أثبتوها فى كتبهم على سائر المسلمين كحكم شرعي , فكيف بعد هذا يصفون النبي عليه الصلاة والسلام بخلافه

فقد أورد القمى ـــ واحد من كبار مفسري الشيعة ـــ القمي في تفسير (سورة الممتحنة) عند قوله تعالى : { وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ }

عن أبي جعفر قال : من كانت عنده امرأة كافرة ، يعني على غير ملة الإسلام وهو على ملة الإسلام ، فليعرض عليها الإسلام ، فإن قبلت فهي امرأته ، وإلا فهي بريئة منه ، فنهى الله أن يمسك بعصمتها " [90]"

وهكذا رأينا أيها القارئ الكريم كيف أن أسلوب الرافضة ومن شاكلهم فى النيل من أم المؤمنين رضي الله عنها هو أسلوب واحد , إما أنه يعتمد على مؤلفاتهم التى بينا حالها فى الفصل الرابع وأثبتنا ـــ باعتراف علمائهم ـــ أنهم لا يملكون نقلا صحيحا من أى وجه لا للشريعة ولا لوقائع التاريخ حيث يوثقون من يعتقدون كفره وفسقه وفساد مذهبه على حد قول علمائهم !

وفى الجانب الآخر يأتون إلى كتب أهل السنة فيستخرجون الموضوعات والأباطيل التى أثبت بطلانها علماء السنة فى مختلف مصنفاتهم وفق منهج دقيق- عرضنا سابقا مدى دقته- ويتاجرون بهذه الأكاذيب على عقول العامة طمعا فى أن يدخلوا الريبة على نفوسهم بحق هذا الجيل الكريم , أو يأتون إلى صحاحنا والأحاديث والروايات الثابتة فيتبعون معها أسلوب الشياطين عندما كانت تتسمع على الملأ الأعلى ,فيأتى الشيطان بخبر واحد صادق فى غلالة كاملة من الأكاذيب كى يبثه إلى الكُهان فى الجاهلية فيفتنون الناس بذلك !

فجاءوا بنفس الأسلوب إلى الأحاديث والوقائع الصحيحة فقدموها إلى الناس فى مؤلفاتهم وفى كتاباتهم وبرامجهم بغلالة من الأكاذيب تبطل الحق وتحق الباطل , وأضافوا إليها من عندهم من الزيادات ما الله به عليم !

وليس هذا غريبا على الرافضة ,

فمن يتأمل تاريخهم مع رواية التاريخ الإسلامى ـــ كما عند الطبري مثلا ـــ سيجد أنهم يزيدون فى الحوادث وينقصون إلى درجة مذهلة , ويكفينا أن نأخذ مثالا لذبك أشهر رواتهم الإخبارية وهو لوط بن يحيي الملقب بأبي مخنف , فمن يتأمل روايته فى حادثة السقيفة مثلا ويقارنها بالرواية الصحيحة عند البخارى يكتشف كيف أن أبا مخنف أضاف على الرواية ثلاثة أمثالها كذبا واختلاقا من عنده ,

[90] ـــ تفسير القمى ـــ تفسير سورة الممتحنة ـــ الجزء الثانى ـــ ص 344

وقس على هذا سائر أخباره التى تناولت أخطر فترة فى التاريخ الإسلامى منذ وفاة النبي عليه الصلاة والسلام إلى حوادث الفتنة الكبري ,

فلا سبيل لهذه الأمة للنجاة من براثن أعدائها ـــ لا سيما المتلفحين بالنسبة إليها ـــ إلا بالعلم والسعي خلف تاريخنا الحقيقي الذي بذل العلماء عبر العصور جهدهم كى يوصلوه مع الشريعة كاملا مكملا

فأقل القليل أمام جهدهم ومثابرتهم أن نتعلم من أوراقهم التى تلونت بدماء أحبارهم وأقلامهم جهادا فى سبيل الله

الفصل السادس

هزيمةٌ لهم .. وانتصار لنا

قال الأئمة .. "[91]"

مالك بن أنس .. رحمه الله

إذا لم تعرفـــــــونى فى نطـــــــاقى ... فـــإنى صـــاحب العلـــم المـــراق

أقـــول لتـــسمعوا عـــنى مقـــالا ... يكـــون شـــهادتى يـــوم التلاقـــي

بأن القهـــر يبطـــل كـــل فعـــلٍ ... ولا إكـــــراه في أمـــــر الطـــــلاقِ

أبو حنيفة .. رحمه الله

ولـــو أثقلـــتم القيـــد الحديـــدى ... فغاصت ســـنه تـــدمى وريـــدى

فلـــن ألى القـــضاء لكـــم فـــإنى ... إذا جاء القـــضاء يكـــون عيـــدى

ولن أرضي بـــأن ترمـــوا برأســـي ... بنار قـــضائكم .. رغـــم القيـــودِ

---

[91] ـــ من قصيدة (قال الأئمة ـــ مواقف العلماء شعرا) ـــ المصدر السابق

الشافعى .. رحمه الله

أبيع عباءتى مـــن فـــرط فقـــري وأرفض درهمـــا مـــنكم لعـــسري

وأبغي الأجـــر إن الأجـــر حـــقٌ إذا حـــل المعـــاد بـــأرض مـــصر

هوان المـــال مـــذهب كـــل حـــرٍ وعز العلـــم مبعـــث كـــل فخـــر

أحمد بن حنبل .. رحمه الله

رضينا يـــا إلـــه الكـــون جلـــدا وظهـــرى لا يلـــين ولـــن يـــصدا

فحـــسبي أن تهـــبنى منـــك قوتـــا يعـــين علـــى الـــبلاء إذا اســـتبدا

لأجـــل جهـــادك الأعلـــى إلهـــى سيزل مـــا لقيـــت علـــىّ بـــردا

الفصل السادس
هزيمةٌ لهم .. وانتصار لنا
(الفوائد والآثار الإيجابية لحادثة الإفك القديمة والمعاصرة)

من يتأمل قوله تعالى في محكم كتابه ..

[إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ] {النور:11}

والآية الكريمة تقرر حكما شرعيا خاصا لأم المؤمنين عائشة ولأمهات المؤمنين جميعا فيما يخص حكم القذف "[92]" أو الإعتداء على واحدة منهن بأى صورة من الصور ، وتوضح الآيات أن أول من تولى كبر هذا الفعل هو كبير المنافقين عبد الله بن أُبي كما ثبت عن السيدة عائشة رضي الله عنها :

(باب قوله : إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم كذا لأبي ذر ، وساق غيره الآية إلى قوله) : عذاب عظيم) وهو أولى لأنه اقتصر في الباب على تفسير الذي تولى كبره فقط .

قوله :

(أفاك كذاب) هو تفسير أبي عبيدة وغيره .

قوله : (حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان (هو الثوري ، وقد صرح به ابن مردويه من وجه آخر عن أبي نعيم شيخ البخاري فيه ، ورواه عبد الرزاق عن معمر مطولا في جملة حديث الإفك ، وقد تقدم في غزوة المريسيع من المغازي من رواية معمر أيضا وغيره عن الزهري ، وفي القصة التي دارت بينه وبين الوليد بن عبد الملك في ذلك قوله عن عائشة والذي تولى كبره أي قالت عائشة في تفسير ذلك

[92] ـــ الصارم المسلول على شاتم الرسول ـــ بن تيمية ـــ مصدر سابق

قوله : (قالت عبد الله بن أبي ابن سلول أي هو عبد الله ، وتقدمت ترجمته قريبا في سورة براءة ، وهذا هو المعروف في أن المراد بقوله تعالى : والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وهو عبد الله بن أبي) "[93]"

وقد جاءت الآيات الكريمة مقررة بأن أمر الإفك خير ليس فيه شر إلا للمنافقين ،

يقول بن كثير في تفسيره عن هذه الآية :

(فقوله إن الذين جاءوا بالإفك (أي : بالكذب والبهت والافتراء ،)عصبة) أي : جماعة منكم ،)لا تحسبوه شرا لكم (أي : يا آل أبي بكر) بل هو خير لكم (أي : في الدنيا والآخرة ، لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة ، وإظهار شرف لهم باعتناء الله بعائشة أم المؤمنين ، حيث أنزل الله تعالى براءتها في القرآن العظيم الذي) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

ولهذا لما دخل عليها ابن عباس ، رضي الله عنه وهي في سياق الموت ، قال لها : أبشري فإنك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحبك ، ولم يتزوج بكرا غيرك ، وأنزل براءتك من السماء) "[94]"

وهكذا فإن الآيات الكريمة نصحت المؤمنين وخففت عنهم وقع حادثة الإفك القديمة بل جعلتها ذات تأثير إيجابي على المجتمع الإسلامى في تقرير الآيات أن الإفك خير لأمة المؤمنين ، وبالفعل كانت حادثة الإفك القديمة خير عميم للمجتمع الإسلامى وشر عميم على مجتمع المنافقين من عدة جوانب :

أولها : أنها محصت المؤمن من المنافق حيث فضحت المنافقين وبينت إفكهم بصريح الوحى

وثانيها : أنها ألقت الضوء على مدى تمسك المجتمع المؤمن بثقته في الله وكيف أن الله تعالى لم يخيب رجاء المؤمنين فجاءت البراءة في آيات تُتلى إلى يوم القيامة ، وهو ما أعطى للمسلمين درسا بليغا وتطبيقا عمليا على أن من يتوكل على الله فهو حسبه وناصره ولو بعد حين .

---

[93] ـــ فتح الباري بشرح صحيح البخارى ـــ بن حجر العسقلانى ـــ باب (إن الذين جاءوا بالإفك ...)

[94] ـــ تفسير القرآن العظيم ـــ الإمام بن كثير ـــ الجزء السادس ـــ تفسير سورة النور

وثالثها : عوض الله تعالى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جزاء صبرها خـــيرا وبـــأعلى درجات الإثابة عندما جاءت براءتها بالوحى تدفع قول كل منافق ، فضلا على أنها أقررت حكما شرعيا بكفر من يتناول تلك الحادثة في مطلق العصور القادمة ، وذلـــك في قولـــه تعالى :

[يَعِظُكُمَ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] {النور:17}

واستخدم رب العزة لفظ أبدا هنا ليس للتوكيد فحسب ، بل استخدمه ليقرر أن هذا الحكم الشرعي الجديد لا ينصرف فقط إلى عصر المسلمين في وقت الحادثة ، بل يمتد التحذير والوعيد إلى يوم القيامة ، وهو ما أفاده لفظ (أبدا) الوارد بالآية ، وهذا التفسير اللغوى البليغ ـــ وهو أحد اجتهادات العلامة العراقي د. أحمد الكبيسي "[95]" ـــ يوضح مدى المكانة التي تتمتع بها أم المؤمنين عائشة وأمهات المؤمنين جميعا قياسا عليها ، وهذا التشريف وما صاحبه من الخير العميم ما كان ليحدث لولا حادثة الإفك التي برهن القرآن الكريم على أنها خير للمؤمنين وشر للمنافقين ، ولهذا كانت أم المؤمنين تفتخر بهذا الشرف القرآنى والذي جاءت به الحادثة وكانت سببا له ، تماما كما اعتز الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك عندما جاءهم المغفرة والتوبة بعد ذلك من القرآن الكريم في قوله تعالى :

[وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {التوبة:118}

فقال أحدهم : ما كنت أحب أنها لم تنزل ، وهذا لما في الآية من وعد بالمغفرة والرحمة جاء من قلب الابتلاء .

رابعا : لولا حداثة الإفك القديمة وتوثيقها الذى جاء بالقرآن الكريم معلنا الحرب على من يجدد الخوض فيها ، لما عرفنا نحن الأجيال المتتابعة أن أصحاب الإفك سيتجدد قولهم على مر الأزمان وبأساليب مختلفة ، ذلك أن الله تعالى أنزل في كتابه حكما بتحريم الخوض فيها على سائر المؤمنين في سائر العصور ، فكان من دلائل الإعجاز القرآنى أن يوجد في

[95] ـــ برنامج (الكلمة وأخواتها فى القرآن الكريم) ـــ د. أحمد الكبيسي ـــ قناة دبي الفضائية

الأجيال اللاحقة أقوام تمارس نفس البهتان ، فتطمئن قلوب الذين آمنوا إلى القرآن ، ويخوض المنافقون والذين في قلوبهم مرض فيما كذبوا فيه الله ورسوله عليه الصلاة والسلام

أما حادثة الإفك الجديدة ، فقد نال بها المسلمون خيرا عظيما تمثل في عدة وجوه :

أولها : تبين لنا مدى الإعجاز القرآني في نبوءة القرآن الكريم بتجدد حديث الإفك والخوض فيه من منافقي آخر الزمان ، وذلك عندما جعل الله تعالى الجزاء شاملا للمسلمين بسائر العصور .

ثانيها : ساهمت حادثة الإفك الجديدة في فضح منافقي العصر الحديث ، تماما كما ساهمت حادثة الإفك القديمة في فضح منافقي عصر النبوة ، فانكشف للمسلمين في هذا العصر بوضوح تام ، من هو الكائد للإسلام ، ومن هو المتمسك به ..

وظهر للجميع ـــ من حسنى النوايا بالفرق الهدامة ـــ أن هؤلاء القوم يدينون ببغض الإسلام وبغض رموزه واتضح للكافة أن هؤلاء القوم لبسوا مسوح الإسلام وهو منهم براء ، ذلك أنهم أصروا على ما فعلوا بل وتجاوزا كل الحدود فطافوا على القنوات الفضائية والصحف والكتب يروجون لهذا الإفك في شهر رمضان المبارك بالذات !

وكانت أفعالهم تلك هى الدليل القاطع والبرهان الساطع على صدق تحذير العلماء والدعاة منهم ، بعد أن بحت أصوات هؤلاء العلماء ليلا ونهارا وهى تدعو الأمة للتبصر بما يحاك لها باسم التدين ! ،

فسبحان الله ..

جاءت جهود الأفاكين لتقدم أعظم خدمة للمسلمين بعد أن ظهر للعامة والخاصة حقيقة منهجهم

ثالثها : وهو العامل الإيجابي العارم الفائدة من وراء الإفك الجديد والمتمثل في يقظة المسلمين وانتفاضتهم الغيورة على أم المؤمنين رضي الله عنها ، ولو أدرك المغيبون ـــ مرتكبو الإفك الجديد ـــ ما فعلوه وتسببوا فيه من يقظة وتجدد للإيمان في قلوب المسلمين لعضوا أناملهم من الغيظ ، وذلك مصداقا لقوله تعالى :

[وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ] {الأنفال:30}

فقد السحر على الساحر ..

فبدلا من أن يأتى الهجوم على أم المؤمنين بأثر سلبي على المسلمين ، إذا به يوقظ الهاجع .. ويثير المتراخى .. ويطلق الحماسة لنصرة الإسلام متمثلا في نصرة النبي عليه الصلاة والسلام وآل بيته ، فصار حال أصحاب الإفك الجديد كحال المستشرقين الذين صرفوا أعمارهم عبر ثمانية قرون في إثارة الشبهات ضد الإسلام ، وطمعا في أن تؤثر الشبهات في عوام المسلمين ، فإذا بها تؤدى للعكس ، بعد أن انتفض علماء المسلمين من جميع الأقطار ليبذلوا جهدهم الخرافي في رد سائر الشبهات وتنويع مصادر العلم بالشريعة ، فتسببت الشبهات في تكثيف العناية بالقرآن والسنة وعلومهما ، وظهرت عبر العصور عبقريات كبري في التفسير والحديث زادت من ثراء ومعين العلم بشريعة الله ودفعت الناس دفعا للتأمل في الإعجاز المطلق الذى تمثله مصادر الشريعة الإسلامية ، فارتد السهم إلى صاحبه بالخسران المبين بعد أن زاد تمسك المسلمين بدينهم بعد أن تأملوا بنات أفكار العلماء وحسن استنباطهم وردودهم المفحمة على كل شبهة ، وصار حال الأفاكين كحال واضعى الأحاديث ومزورى الأسانيد الذين أرادوا هدم السنة ، فقيض الله تعالى أجيالا من العلماء كالجبال تقف أمام سيولهم وتصدها ، وتسببت فتنة وضع الأحاديث في ظهور أعظم علوم الشريعة وهو علم الحديث الذى كان ـــ ولا زال ـــ علامة منفردة لم تتحقق لأمة غير أمة الإسلام ، وبدلا من أن تؤدى فتنة وضع الأحاديث إلى ضياع السنة تسببت في حفظها بقواعد متينة ، لتتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل تماما كما نزلت على خاتم الرسل والأنبياء عليه الصلاة والسلام .

فبمثل هذا ..

قامت الغيرة في أعماق المسلمين على أم المؤمنين ودفعت كل من بيده جهد ـــ مهما بلغت بساطته ـــ إلى التحرك بشتى الوسائل لنصرة أم المؤمنين سواء عن طريق دفع الشبهات عنها بالعلم ، أو إثراء المكتبات والبرامج بسيرتها العطرة ، أو المساهمة الفعالة في نشر العلم بسيرتها عبر وسائل الإعلام المختلفة ، كما نهضت عشرات المكتبات والمؤسسات تطبع وتدفع للأسواق نتاج العلماء المعاصرين والسابقين لينتشر بين العامة

حديث السيدة عائشة والدفع عنها ، وهو ما لم يتحقق من قبل ، وتسببت فيه الغيرة التي تصاعدت إزاء العدوان .

كما قامت المؤسسات وأهل القدرة المالية بإقامة المسابقات بشتى أنواعها ، والتى تدور موضوعاتها حول السيدة عائشة رضي الله عنها ، وتنوعت المسابقات بين مساهمات الدفع عنها عن طريق رد الشبهات ، أو نشر سيرتها العطرة وفضائلها المخفية ، أو الدفاع عنها بالشعر ، وعلى شبكة الإنترنت هبت جموع المسلمين تبذل طاقاتها لكى تنشر آلاف الردود على الشبهات الفردية التي أثارتها أيدى البغضاء ، وتكالبت الأيدى في حماس محموم للمشاركة في هذا العمل الجليل .

ويكفي أمة الإسلام اليوم أن تستغل هذه الطاقات المتفجرة ـــ لا سيما من شباب الباحثين والعلماء والأدباء ـــ لكى تضخ الغيرة في قنوات العلم والتعلم وحب مطالعة التاريخ الإسلامى ونشره ، وعن طريق هذا المنهج سيتحقق كل ما يتمناه العلماء والدعاة من عودة الجماهير إلى الإهتمام بتاريخها وحضارتها ورموزها بعد أن استشري التغريب في كل واد وناد ،وعن طريق هذا المنهج سيعود أصحاب القلم – مهما اختلفت مواهبهم وتنوعت – لكى يجعل كل واحد منهم لقلمه نصيبا من الدفاع عن أم المؤمنين والصحابة ، وهو ما يمكن تسميته نشر الوعى بزكاة العلم وزكاة القلم وزكاة الثقافة ، حتى لا يصرف أصحاب المواهب جهودهم فيما لا يفيد المسلمين ويعودوا من جديد لأداء دورهم في التوعية والدفاع عن قضايا الأمة ، فالزكاة معلومة من الدين بالضرورة باعتبارها ركن من أركان الدين الخمسة وإنكارها يخرج من الملة وإهمالها يطيح بالنعمة ، وما وُجد مال يخلو من فريضة الزكاة إلا أهلكه الله ، ومعروف أيضا أن الزكاة ليست فى المال بل هى فى كل النعم وإن لم يأت النص فرضا إلا على زكاة المال ، وأتى الحديث النبوى مرغبا فى بقية أنواع الزكاة حيث قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِيناً وَشِمَالاً. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله

عليه وسلم: "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ.) "[96]

والغريب أن المفهوم العام للزكاة يعرفه العامة ويمثلون له بأمثلتهم الشعبية فتنتشر عبارات من أمثلة

(زكّ عن صحتك ،، زكّ عن قوتك)

وأشد أنواع الزكاة وجوبا هى زكاة الموهبة الفكرية المتمثلة فى الثقافة والقدرة على التعبير أما العلم فله شأن خاص سنأتيه بعد قليل ، فالموهبة الأدبية أو الثقافية هى نعمة وهبها الله للمبدع كالشعر والقصة والرواية والمقال ، والثقافة موهبة وهبها الله للإنسان رفع قدره بالمعلومات وفقهها

وبينما الهجمات المسعورة على ديننا وحضارتنا لا تكف لحظة من ليل أو نهار ، وبينما يحتفي الغرب بأى بوادر لمواهبه ، نجد أن عالمنا الإسلامى يذخر بالمواهب وطلبة العلم ، لكنهم مع الأسف الشديد وقعوا رهنا لحبس ضيق الظروف الإقتصادية والمعيشية فضلا على انعدام الفرصة في نشر أعمالهم رغم جلالة قيمتها وشدة الحاجة إليها ..

وصدق فيهم قول الشاعر ..

وأشد خلق الله في الهم امرؤٌ ذو همةٍ .. يُبلي بعيشٍ ضيقِ

هذا بالنسبة للمثقفين وأصحاب موهبة القلم ..

أما أصحاب العلم أمرهم مختلف تماما ، فهؤلاء لا تغنى عنهم الزكاة فى بذله ، ولا يكفي أن يؤدى الربع أو النصف أو حتى الثلاثة أرباع ، فالعلم لمن يُؤتاه شرطٌ عليه وعهد أن يؤديه كله ما وسعه الأداء ولا يغفر الله له حبة خردل من تقصير فى ذلك إلا أن يكون مغلوبا على أمره فيه .

وهذا أمر طبيعى دون شك فالعالم مرتبته عند الله هى أعظم وأجَلُ المراتب بعد النبيين والصديقين وقد ورد فى الأثر أن دماء الشهداء ومداد العلماء سواء بسواء يوم القيامة وهو

[96] ــ شرح صحيح مسلم للنووى ــ كتاب اللقطة

فى جهاد طالما كان فى طلب العلم ، وغير ذلك من الفضائل التى لا تعد ولا تحصي فيلـــزم من ذلك أن تكون الشروط على قدر المكانة .

وقد ورد فى الأثر أن النار ـــ نعوذ بالله منها ـــ تُسعّر ـــ أى تحمى وتوقد ـــ يوم القيامة بعالم وشهيد ، ولم يقل المعصوم عليه أفضل الصلاة والسلام أنها تسعر بالقاتل بغير حـــق رغم الوعيد الشديد فى كونه ملعونا من الله عز وجل ، ولم يقل أنها تسعر بالحاكم الظالم رغم فداحة أثر الظلم الشخصي من الأفراد فضلا على الحكام وهم الفئة الوحيدة تقريبـــا التى حظت بدعاء الرسول ـــ عليه السلام ـــ عليهم فى قوله " اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به ومن ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه " أو كما قال عليه الصلاة والسلام

ورغم كل هذا فقد جعل الله أبلغ مرتبات التعذيب تلك التى يحظى بهـــا العـــالم المنـــافق والشهيد المنافق وهذا لجلالة العملين عند الله ومقدار أثرهما فى المجتمع المـــسلم لأن العلـــم بالتحديد هو مناط الأمر وتمام الدين وحياة الناس وطريق الجنة ومعرفة الله حق معرفتـــه ، ولولا العلم لقال من شاء بما شاء ، ولولا توفيق الله جهود العلماء لانتهت رسالة الإسلام من على وجه الأرض فى أزمات التغريب عن الهوية التى بدأت منذ عهد ظهـــور الفـــرق المختلفة وانتشارها وحتى يومنا هذا

ولا توجد على ظهر الأرض فتنة أكثر من فتنة الشبهات وكيد شياطين الإنس والجـــن ، وهؤلاء لا مقاومة لهم إلا بكتائب حرس الحدود ـــ كما يسميهم المحدث الجليـــل أبـــو اسحق الحوينى ـــ ولهذا كان العلماء ورثة النبوة .

ولهذا كان وعد الله للعلماء إذا بينوا وعدا مفتوحا حتى تنتهى الأعذار ويُمحى الإعتذار ، لأنه لا يوجد عذر لعالم كتم علمه ، أو اتخذه وسيلة لهواه ، ففي كتابـــه (مـــا ورد في الإتيان على السلاطين) بيّن الحافظ جلال الدين السيوطى وأخرج حديث بـــن مـــسعود رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال فيما معناه :

(من طلب العلم لأربع فهو فى النار ، من طلبه ليباهى به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أو يأتى به أبواب السلاطين)

وهذه الأربع لو تأملناها ورعيناها لوجدناها تحققت بأكملها تقريبا

فهناك من أتاه الله علما ووظفه للمناظرات والمحاججة مع العلماء ليبتغي من وراء ذلك الظهور ، وليست المحاججة مرفوضة بل مفروضة ، لكن المقياس بين هذه وتلك هو النية ومدارها وتوجهها ، فإن كانت لدفع الباطل وليس للظهور فهنا لا تمنع أبدا ، بل لا يمنع الفخر أو الإعتزاز بالعلم عند مواجهة أهل البدع والتلبيس على الناس وتعمد إظهار جهلهم لأن هؤلاء من قاصدى الفتنة الذين يجوز فى مواجهتهم مثل هذا الإختيال "[97]" .

وقد ورد فى السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما شاهد أبا دجانة رضي الله عنه يمسك سيفه ويمشي مشية اعتزاز قبيل غزوة أحد قال :(إنها مشية يكرهها الله ورسوله إلا فى هذا الموطن)

وهناك من أتاه الله علما فسلطه لمجاراة سفهاء الأحلام ممن لا تأثير لهم فى المجتمع وبالتالى فكلامهم ودعاويهم لا أثر فعلى لها ، وعليه فالدخول فى جدل مع هؤلاء هو من قبيل فتح الطريق أمامهم لينشروا باطلهم ، فما دام المشكك لا قيمة له ولا اعتبار وينظر المجتمع إليه نظرة السفه فلا معول عليه إن تركه العلماء يهذى بما يقول ، أما الدخول معهم فى المخاصمات فهذا مما حرمه الله تعالى على أهل العلم .

وهناك من أتاه الله العلم فجعله وسيلة لجلب الأنظار إليه ، وتلك الطريق من أقرب الطرق للوقوع فى شرك الشيطان ، والتحذير منها لا يتنافي وضرورة محافظة العالم على اعتزاز نفسه أمام الناس احتراما للعلم الذى يحمله ، لأن تعمد جلب الأنظار شيئ ، والحفاظ على المكانة شيئ آخر ..

فتعمد جلب الأنظار يكون بتصرف من العالم لا هدف له فى نفسه إلا تصغير شأن الناس من حوله وإبراز نفسه ، والتكبر عن الاعتراف بالحق فى وقته .

أما حفظ العلم بحفظ مكانته فهذا معناه ألا يعمد العالم للسكوت على إهانة العلم الذى يحمله ومن باب أولى ، على العالم أن يكون تام المروءة فى المجتمع فلا يضع نفسه حيث لا يليق به تحت ادعاء التواضع أو استجابة لشهوة .

والرابعة والأخيرة وهى آفة الآفات أن يعمد العالم إلى أهل السلطة ليشترى بعلمه شيئا من متاع الدنيا وأهل السلطان ليس من الضرورى أن يكونوا هم السلاطين والحكام بل

[97] ـــ تعلم كيف تناظر وتعلم كيف تواجه ـــ محمد جاد الزغبي ـــ بحث لشبكة العز الثقافية

ينطبق هذا الأمر على سائر من ملك أمرا من أمور الرعية أميرا أو وزيرا أو رئيسا لمؤسسة أو خلافه ، فشر العلماء هم من يأتون أبواب السلطان وخير السلاطين من يقفون على أبواب العلماء .

من هذا العرض السريع نكتشف أن الله تعالى خص العلم فى ذاته بأن يكون له وحده و وفى سبيله وحده ، وحقه مبذول للناس بالإفادة فلا كتمان فيه ولا اعتذار ولا شروط لتأديته ، وعليه فإن ما نسمعه فى العادة من أن المجتمع يهمل العلماء وطلبة العلم بينما فرض عين عليه أن يحميهم ويكفل رزقهم لأنهم يحبسون وقتهم لغيرهم ، وما إلى ذلك من الأقوال حول اضطهادهم وانصراف الناس عنهم ، كل هذا صحيح وواقع ، ولكن هل يصلح هذا كمبرر لكتمان العلم أو السكوت والانطواء والبعد عن أداء رسالة العلم ؟

والجواب ، لا .

لأن الله عز وجل فرض على أهل العلم أن يبذلوه لا أن يُوصلوه ، فرض عليهم أن ينشروه لا أن يستوعبه الناس ، والأمر شبيه بهذا الأمير الأندلسي الذى خرج فى كتائب جيشه للجهاد ، وكان مرضه شديدا ورفض التخلف عن إمارة الجيش وفى منتصف الطريق حان أجله فطلب سهما وقوسا فاندهش قواده وطلبوا منه ألا يرهق نفسه لأن السهم لن يصل للأعداء مهما بلغت قوته فكيف يصل وهو على حال مرضه ، فأصر على طلبه وأطلق السهم فى الهواء قائلا قبل أن يلفظ أنفاسه

(نعم إنه لن يصل للعدو ، لكنه سيصل إلى الذى أطلقته فى سبيله) .

ولو كان الأمر مشروطا بأن يعرف المجمع حق العالم ويحفظ له رغده ، لما وصل إلينا علم قط منذ عهد الصحابة إلى اليوم ، بل ولما وصلت إلينا رسالة واحدة عن نبي لله أو رسول فما من عالم منذ عهد التابعين إلا وتُزين ترجمته ـــ كما قال الحوينى ـــ أزمته ومحنته ، وأغلبهم كان للفقر معانقا ، حتى أن الشافعى تأثر من حال مالك رضي الله عنهم جميعا ، بعدما رأى فقره وحاجته وهو يومئذ إمام دار الهجرة ، فقال فيه :

وأشد خلق الله فى الهم إمرؤ ذو همةٍ .. يبلي بعيشٍ ضيق

وقد ضُرب أحمد بن حنبل حتى تفتقت أجزاء من لحمه رضي الله عنه وحبسه المأمون والمعتصم والواثق زهاء خمس سنوات فى محنة خلق القرآن و لم يرضخ وما كان له أن يرضخ وهو إن قال قولا تابعه عليه سائر المسلمين يومذاك "[98]".

وليس للعالم عذر سواء فى الهمة المفروضة لعدم توانيه فى طلب العلم أو فى تأديته وفق توفيق الله له وحسب استطاعته بأى وسيلة تتيسر أمامه ، وليس لهم عذر أيضا فى محنة الغربة وعصرها التى نعانى منها اليوم ، فعصر الغربة الذى حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام ونصح فيه بإغلاق الباب على النفس ومن يعول لا ينطبق أبدا على أهل العلم لا من قريب ولا من بعيد لأن العلماء يومذاك هم مناط بقاء الدين والدنيا وهم الذين عبر عنهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال :(لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك) "[99]"

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام استثنى العلماء صراحة من رخصة الاعتزال عندما قال ــ وهو حديث ضعيف أورده الخلال فى السنة لكنه يصلح للاستئناس ــ

(إذا ظهرت الفتن ، وسُب أصحابي ، فعلى العالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)

بقي أن نقول أن عصر الفتن يختلف فى شأن تقييم العالم كما يختلف فى شأن الظروف الطبيعية التى تتوافر بكل عصر؛ فالعالم قديما كانت شروط حتى يكتسب هذه الصفة ، وقد يقضي عمره كله فى الجد والكد ولا يستطيع أن يبلغ هذا الوصف ، أما فى ظروف آخر الزمان ، فالأمر مختلف جذريا,

فليس المقصود من الحديث السابق والتكليف الجبري بإظهار العلم .. فئة العلماء التى عهدنا شروطها بل ينضم إليها كل من لديه مثقال ذرة من خبرة أو معرفة بفتنة من الفتن ويملك بيانها للناس .. والأمثلة أكثر من أن تحصي فى هذا الباب ،

وأقربها ..

---

[98] ــ البداية والنهاية ــ الإمام بن كثير ــ ترجمة الإمام أحمد بن حنبل

[99] ــ أخرجه مسلم ــ وأورده العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة 4/ 599

محتوى موضوعنا فى هذا الكتاب وهو الهجمة التى تتعرض لها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها ..

و مثال ذلك ما حدث من اعتداءات على النبي عليه الصلاة والسلام والشريعة والصحابة والعلماء الأقدمون وما إلى ذلك من فتن شديدة الوقع والأثر على العامة الذين يفتقدون أقل مؤهل للتمييز بين الغث والسمين ، ولست أعنى الاعتداءات التى تأتى من خارج بلاد المسلمين فتلك أمرها أهون مما يضخمه البعض من ذوى الأغراض لأنها شتائم مألوفة وطبيعية وإلا لكان من الحماقة أن ننتظر من الحاقدين إنصافا !

فالإعتداءات من الخارج إنما تتمثل فى وجهين سباب فارغ وهذا أمر لا رد عليه ولا ينبغي أن نرد عليه لأن الرد عليه يؤدى غرضه بالإنتشار .

والوجه الآخر وجه الشبهات التى تأتى كأمثال شبهات المستشرقين وهذه ردها يكون بالعلم والإيضاح

ولكن المقصود هنا بالإعتداءات التى تأتى ممن ينتسبون إلينا وحذر منهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين أنهم دعاة إلى النار يتكلمون بالقرآن لا يجاوز تراقيهم وهؤلاء ما أكثرهم الآن فى العالم الإسلامى وما أكثر ما يفعلون .

والأمر يبدو مثيرا للأسي المضحك عندما نتأمل حماسة الشباب تجاه اعتداءات الرسوم المسيئة من أوربا بينما هم فى تغييب كامل عما يفعله مواطنون منهم فعلوا أكثر مما فعله المستشرقون واليهود تجاه الإسلام و لم يبلغ الغرب فى بذاءاته عشر معشار ما فعلته الرافضة فى أنحاء العالم الإسلامى من تشنيع وتشويه باسم الإسلام أو ما فعلته وتفعله حركات العلمانية التى تبث صحفها كل يوم مليئة بما يندى له الجبين وتجد لها بين الناس من يستجيب .

ودور العلماء هنا تم التركيز عليه لخطورته السابق بيانها غير أن هذا لا يعنى أن الدور منوط بمن يمتلك العلم وحسب بل هو دور المجتمع كله ، لا سيما أن أصحاب الباطل ينصرون باطلهم بأكبر أنواع الدعم ، ويصرفون في ذلك ملايين الدولارات على مختلف البرامج التي تبث الإشكاليات والشبهات على الثوابت الدينية ؛ لهذا فإن هذا الواجب يقع على جميع فئات المجتمع ككل ..

فهو دور المؤسسات العلمية شريفة القصد مثل المواقع العلمية المتخصصة والمنتديات التي جهزها أصحابها لتكون منارة فى رد الشبهات مثل موقع الدرر السنية وموقع فرسان السنة وموقع أهل السنة وغرفهم على البالتوك وغيرها كثير ، ويتمثل دورهم أيضا فى المساهمة على نشر وتشجيع الموضوعات البحثية التى تتناول منهج الأمة الحق وطريقها الذهبي لعودتها من الغربة ، وإعطاء الفرصة لكل باحث كى يساهم فى البناء بلبنة .

وهو دور الأب الأميْ أن يدرك تمام الإدراك أن منجاة أبنائه إنما هى فى العلم وحده فيدفعهم إليه قبل أن يدفع الطعام إلى أفواههم ، ويحرص أن يعلمهم لا أن يدربهم على فن اجتياز الامتحانات الدراسية آخر العام !

وهو دور معلم التلاميذ والصبية من أى تخصص علمى أو أدبي أو غيره أن يبين لهم حقيقة حضارة مجتمعنا وكيف أن البطولة الحقيقية إنما تكون فى الإعتزاز بالدين واللغة والحضارة والبحث خلف أمثلتها فى التاريخ لإعادة تطبيقها .

فأى مدرس بسيط يجب عليه أن يخصص من وقته بعض الوقت لبيان تلك المسلمات وتغذية عقول الأطفال بها فى زمان أصبحت فيه كلمة بطولة تنصرف إلى الأفلام السينمائية وكرة القدم

ومن أطرف ما وصل لمسامعى حديث إحدى الراقصات لبعض القنوات الفضائية وهى تسرد رحلة حياتها الفنية ــ كما تسميها ــ فقامت بتكرار كلمات مثل " الحمد لله " و " هذا فضل من الله " أكثر من عشر مرات فى أقل من ثلاث دقائق ، والناس تستمع وفيهم المدرك للتناقض وفيهم من لا يعرف ــ خاصة الأطفال ــ فيكبر الطفل بتلك المبادئ ، ولن يكون غريبا فى قادم الأيام أن يدعو لأمثالها بظهر الغيب على ما قدمت من خدمات فى وسط المجتمع !!

فإن لم يستطع المدرس أن يفعل ذلك فعلى الأقل عليه أن يكتفي بعجزه عن الإضافة ولا يصبح مركزا لزيادة المحنة باتخاذه مهنته كوسيلة للرزق فحسب ، مثلها مثل أى مهنة أخرى لأن العالم والمعلم والمقاتل إن ربط كل منهم مهنته براتبه .. و لم ينظر لأمانتها فلا يلومن إلا نفسه يوم لا ينفع لوم ولا ندم .

وهو دور النجار والحداد والقصاب والتاجر وكل المهن أن يؤدى الخدمة لمجتمعه بحرص خوف الله تعالى لا خوف القانون ، فى ظل عالم أصبحت فيه المخادعة هواية بعد أن كانت سبيلا للطمع المادى .

فهناك من يخدع لمجرد الخداع فقط ، ولو لم يكن هناك أدنى فائدة لذلك ، وأبرزهم أولئك الذين اتخذوا من أمهات المؤمنين والصحابة موضوعا لكيدهم وحقدهم وبشكل يثير الدهشة عن دوافع هذا الحقد وأسبابه !

وفى ظل هذه الغربة العنيفة التى نعانى منها فليس هناك من وسيلة إلا أن ينهض أصحاب الغيرة أيا كانت أعمالهم وصفاتهم ويمارس كل منهم دورا توعويا فى محيطه حتى لا يخرج الجيل الجديد والحبال مقطوعة بينه وبين تاريخه وعقيدته !

فمن استطاع الباءة فى رد الشبهات فليفعل ، ومن لم يستطع فليكفل طالب علم ويوفر له مصادر التعلم ـــ وهو نداء تكفل به كثير من أهل العلم مثل الشيخ أبو اسحق الحوينى ـــ وإن لم يكن له شيئ من ذلك ، فليبادر بتعلم الحد الأدنى من المعرفة التى تتيح له رد الشبهات عن أبنائه ومحيط جيرانه ،

وإن لم يستطع فليشجع غيره ولو بالكلمة الطيبة أن يستمر فى هذا الطريق النورانى ، أو أن يهب أحد بنائه لطلب علوم الشريعة ـــ كما ينادى المحدث الشيخ عدنان عرعور ـــ حتى تتغذى عروق هذه الأمة بعلمائها فى المستقبل القريب ..

وبهذا الشكل وحده ..

وعن طريق استثمار الغيرة فى قلوب المسلمين نستطيع أن نرد الأمة لدينها ردا جميلا ، بعد عهود التغريب والتجهيل ،

ويكون رد الفعل الإيجابي على الهجمات التى نالت رموزنا يتمثل فى أننا أعدنا إحياء سير هؤلاء الرموز وجعلناهم فى دمائنا وجعلنا تاريخهم عبقا يثير الحنين إلى هذا الزمن الكريم بأهله

والله ولى التوفيق ..

تم البحث بحمد الله وتوفيقه ..

المصادر والمراجع ..

- سير أعلام النبلاء ـــ الإمام الذهبي ـــ طباعة دار الفجر للتراث
- البداية والنهاية ـــ الإمام بن كثير ـــ طباعة دار الفجر للتراث
- تاريخ الأمم والملوك ـــ الإمام الطبري ـــ طبعة دار الأفكار
- تاريخ الخلفاء ـــ الإمام جلال الدين السيوطى ـــ دار الفجر
- الطبقات الكبري ـــ محمد بن سعد الواقدى ـــ طباعة مكتبة الأسرة بوزارة الثقافة ـــ مصر
- الصديقة بنت الصديق ـــ عباس محمود العقاد ـــ دار المعارف
- تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن ـــ د. عائشة عبد الرحمن ـــ مكتبة المجلس العلمى
- تاريخ بن خلدون ـــ عبد الرحمن بن خلدون ـــ طبعة سلسلة الذخائر ـــ الهيئة المصرية للكتاب
- مجموعة بحوث ومؤلفات د. خالد كبير علال ـــ موقع د. خالد علال على الإنترنت
- العواصم من القواصم ـــ القاضي بن العربي المالكى ـــ مكتبة الرحاب
- شرح مختلف الحديث ـــ بن قتيبة ـــ دار التراث
- الصارم المسلول على شاتم الرسول ـــ بن تيمية ـــ دار العقيدة
- الفتاوى الكبري ـــ بن تيمية ـــ طبعة بيروت
- منهاج السنة النبوية ـــ بن تيمية ـــ دار الحديث
- حقبة من التاريخ ـــ عثمان الخميس ـــ دار بن الجوزى
- تحقيق موقف الصحابة من الفتنة ـــ د. محمد أمحزون ـــ طبعة إليكترونية
- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ـــ د. يحيي إبراهيم اليحيي ـــ طبعة إلكترونية
- أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة ـــ د. بسمة أحمد ـــ رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة أم القري

- أصول مذهب الشيعة الإثناعشرية (جزءان) ـــ د. ناصر القفاري ـــ طبعة إلكترونية
- الباعث الحثيث لابن كثير ـــ شرح أحمد شاكر ـــ دار الحديث
- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ـــ د. أكرم ضياء العمري ـــ طبعة إليكترونية
- فتح الباري بشرح صحيح البخارى ـــ بن حجر العسقلانى ـــ دار المنار
- اتحاف المهرة ـــ على إبراهيم حشيش ـــ دار العقيدة
- المدخل إلى علم الحديث ـــ د. محمد أبو شهبة ـــ دار الفكر العربي
- الشيعة وآل البيت ـــ إحسان إلهى ظهير ـــ دار الحديث
- الشيعة والتشيع (فرق وتاريخ) ـــ إحسان إلهى ظهير ـــ دار الحديث
- الفرق بين الفرق ـــ عبد القاهر البغدادى ـــ دار الحديث
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ـــ إشراف د. مانع الجهنى ـــ دار الندوة
- العصرانية ـــ محمد الناصر ـــ طبعة إلكترونية
- العصرانيون ـــ د. محمد حامد ـــ دار الكوثر بالرياض
- العلمانية والغزو الفكرى ـــ محمد جلال كشك ـــ منشورات العصر الحديث
- أسطورة المذهب الجعفري ـــ د. طه الدليمى ـــ موقع القادسية
- رجال الشيعة في الميزان ـــ د. عبد الرحمن الزرعي ـــ موقع فيصل نور
- فضائل معاوية ـــ محمد أمين الشنقيطى ـــ طبعة إليكترونية
- مجموعة محاضرات العلامة أبي اسحق الحوينى ـــ الموقع الشخصي للشيخ
- الخمينى ـــ كبيرهم الذى علمهم السحر ـــ محمد جاد الزغبي ـــ طبعة إلكترونية لدار العز الثقافية ـــ نشر مكتبة صيد الفوائد
- شرح تلبيس إبليس لابن الجوزى (الجزء الأول) ـــ محمد جاد الزغبي ـــ طبعة إليكترونية لدار العز ـــ نشر مكتبة صيد الفوائد
- المناظرة الكبري مع الشيعة الإثناعشرية ـــ محمد جاد الزغبي ـــ طبعة إلكترونية لدار العز ـــ نشر مكتبة صيد الفوائد

- بحوث وموضوعات متنوعة على شبكة الإنترنت بمواقع أهل السنة المتخصـــصة في رد الشبهات
- برنامج المعجم الفقهى للشيعة الإثناعشرية ـــ شبكة هجر الثقافية

فهرس الموضوعات ..

المقدمة	3
فصل تمهيدى (أساسيات الصراع والحرب على الإسلام)	7
الفصل الثانى (عداوة أربعة عشر قرنا !)	19
الفصل الثالث (أم المؤمنين .. شخصية أسرت النبوغ)	56
الفصل الرابع (الافتراءات على أم المؤمنين في كتب الشيعة)	83
الفصل الخامس (رد الشبهات عن أم المؤمنين رضي الله عنها)	113
الفصل السادس (هزيمةٌ لهم .. وانتصار لنا)	129
المصادر والمراجع	145

سيرة ذاتية مختصرة

الإسم / محمد جاد الزغبي

شاعر وباحث فى التاريخ الإسلامى والمعاصر

الإقامة / مصر ــ القاهرة

مراكز ثقافية

* رئيس تحرير مجلة العز الثقافية " إليكترونية " وهى متخصصة فى البحوث الثقافية

* عضو مجلس إدارة عدد من الشبكات والمنتديات الثقافية على شبكة الإنترنت

بالإضافة إلى عدد من المنتديات والمجلات الإعلامية على شبكة الانترنت ينشر بها الكاتب مثل موقع إسلام أون لاين ــ موقع مجلة المرابع السعودية ــ مجلة أقلام ثقافية الفلسطينية ــ شبكة ومنتديات بوابة العرب ــ شبكة ومنتديات العز الثقافية ــ شبكة ومنتديات منابر ثقافية وغيرها

* اختارته شبكة منابر ثقافية وشبكة العز الثقافية كعميد لمثقفيها

* له مدونة فكرية خاصة بعنوان تضم أعماله مسلسلة حسب نوعها

/http://alzoghbe.maktoobblog.com

* له موقع خاص

/http://alzoghbe.free.fr

* مؤسس ووكيل مدرسة إحياء الشعر العربي وهى مدرسة أدبية تنتهج النهج الأصيل فى الشعر العربي الموزون وتضم فى عضويتها عددا من أنبغ شعراء الوطن العربي وتنتشر فى عدة منتديات ثقافية على الشبكة العنكبوتية

ردود كاملة على الشبهات المثارة حول السيدة عائشة

الفصل تمهيدى (أساسيات الصراع والحرب على الإسلام)

الفصل الثانى (عداوة أربعة عشر قرنا !)

الفصل الثالث (أم المؤمنين .. شخصية أسرت النبوغ)

الفصل الرابع (الافتراءات على أم المؤمنين في كتب الشيعة)

الفصل الخامس (رد الشبهات عن أم المؤمنين رضي الله عنها)

الفصل السادس (هزمهم الله .. وانتصار لنا)

محمد جاد الزغبي